الثعلب
همام الأحمر
وحيوانات الغابة
رمضان مصطفى سليمان
قصص تربوية
تعلم وتلهم
القلب والعقل

الثعلب همام الأحمر

يُعد الثعلب الأحمر واحداً من أكثر الحيوانات حضوراً في المخيلة الإنسانية، ليس بسبب انتشاره الواسع فحسب، بل بسبب الرمزية العميقة التي ارتبطت به عبر التاريخ. فقد تحول هذا الحيوان من كائن بري يسعى إلى البقاء في البيئات المختلفة إلى رمز عالمي للذكاء والدهاء والقدرة على التكيف. وبينما ينظر إليه علماء الأحياء بوصفه نموذجاً ناجحاً للتكيف التطوري، تنظر إليه المجتمعات البشرية بوصفه تجسيداً للمكر والحيلة، وهو ما يفتح الباب أمام قراءة نفسية واجتماعية وفلسفية تتجاوز الوصف البيولوجي التقليدي.

يمثل الثعلب الأحمر مثالاً واضحاً على الطريقة التي تسقط بها المجتمعات الإنسانية صفاتها النفسية والأخلاقية على الحيوانات، فتجعل منها رموزاً ثقافية تعبّر عن تصوراتها حول الذكاء والسلطة والبقاء والصراع.

الانتشار الجغرافي والنجاح التطوري

يُعرف الثعلب الأحمر علمياً باسم **Vulpes**، ويُطلق عليه أحياناً اسم الثعلب العادي بسبب انتشاره الواسع مقارنة بأنواع الثعالب الأخرى. ويُعد من أكثر الحيوانات اللاحمة انتشاراً على سطح الأرض، إذ يعيش بصورة طبيعية في أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية، كما أُدخل إلى أستراليا خلال القرن التاسع عشر قبل أن ينتشر في معظم مناطقها.

يرى علماء الأحياء أن هذا الانتشار الاستثنائي ليس مصادفة، بل نتيجة مباشرة لقدرة الثعلب على التكيف مع البيئات المختلفة. فهو يعيش في الغابات الكثيفة، والسهول الزراعية، والمناطق الجبلية، وحتى داخل المدن الكبرى والضواحي السكنية.

تشير تقديرات بيئية حديثة إلى أن أعداد الثعالب الحمراء حول العالم تُقدّر بعشرات الملايين، مما يجعلها من أكثر الحيوانات البرية نجاحاً في مواجهة التحولات البيئية والتوسع العمراني البشري.

إن قدرة الثعلب على البقاء في بيئات متناقضة تعكس إحدى أهم قواعد التطور: ليست الكائنات الأقوى هي التي تستمر، بل الأكثر قدرة على التكيف مع التغيرات.

الخصائص الجسدية ودلالاتها الوظيفية

يتميز الثعلب الأحمر ببنية جسدية تجمع بين الخفة والمرونة والسرعة، وهي صفات ضرورية لحيوان يعتمد بصورة كبيرة على الصيد والمراوغة.

يتراوح طول جسمه بين 90 و105 سنتيمترات، يشكل الذيل منها ما بين 35 و40 سنتيمتراً. أما ارتفاعه عند الكتف فيصل إلى نحو 40 سنتيمتراً، بينما يتراوح وزن الأفراد البالغة بين 5 و7 كيلوغرامات، وقد يصل وزن بعض الذكور الكبيرة إلى 14 كيلوغراماً.

يغطي جسمه فراء كثيف يساعده على تحمل درجات الحرارة المنخفضة، بينما يتميز لونه بالبني المحمر الذي يمنحه القدرة على الاندماج مع البيئة المحيطة. ويتميز طرف الذيل باللون الأبيض، في حين تكون الأرجل والأذنان سوداوين غالباً.

ولا تمثل هذه الألوان مجرد سمات جمالية، بل تؤدي وظائف بيئية مهمة، إذ تساعده على التمويه أثناء الصيد والاختباء من المفترسات الأكبر حجماً.

أما الذيل الطويل والكثيف فيؤدي عدة وظائف حيوية، منها الحفاظ على التوازن أثناء الجري والقفز، واستخدامه كغطاء يحمي الوجه والجسم أثناء النوم في الأجواء الباردة.

النظام الغذائي ومرونة السلوك

يُصنف الثعلب الأحمر ضمن الحيوانات القارتة، أي القادرة على تناول مصادر غذائية متنوعة، وهو ما يمثل أحد أسرار نجاحه البيئي.

يتغذى بصورة أساسية على فئران الحقول والأرانب الصغيرة والطيور وبيضها، كما يأكل الفاكهة والحشرات والزواحف الصغيرة. وفي البيئات الحضرية قد يعتمد على بقايا الطعام والقمامة ومخلفات النشاط البشري.

وتشير دراسات بيئية حديثة إلى أن أكثر من 40% من غذاء الثعالب التي تعيش بالقرب من المدن الأوروبية أصبح يعتمد بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النفايات البشرية.

ويعكس هذا السلوك مستوى مرتفعاً من المرونة المعرفية والقدرة على تعديل الاستراتيجيات الغذائية وفقاً للظروف البيئية المتغيرة.

في علم النفس السلوكي، يُعد هذا النوع من المرونة أحد المؤشرات الأساسية للذكاء العملي، وهو الذكاء الذي يسمح للكائن الحي بإيجاد حلول جديدة للمشكلات اليومية دون الحاجة إلى أنماط سلوكية ثابتة.

الذكاء عند الثعلب من منظور نفسي

لطالما ارتبط الثعلب في الوعي الإنساني بالذكاء والمكر، لكن الدراسات السلوكية الحديثة تشير إلى أن ما يُوصف بالمكر ليس إلا شكلاً متقدماً من أشكال حل المشكلات.

فالعديد من الثعالب تقوم بمراقبة الفرائس لفترات طويلة قبل الهجوم، كما تستخدم أساليب متنوعة للصيد وفقاً لنوع الفريسة وطبيعة المكان.

وقد سجل الباحثون حالات لثعالب استخدمت الأصوات أو الحركات الخادعة لجذب الطيور أو تشتيت انتباه الحيوانات المنافسة.

من منظور علم النفس المعرفي، يمكن تفسير هذه السلوكيات بوصفها شكلاً من أشكال التخطيط الاستراتيجي والقدرة على توقع النتائج المستقبلية للأفعال الحالية.

إن الفرق بين الذكاء والمكر يكمن غالباً في التقييم الأخلاقي البشري للسلوك، لا في السلوك نفسه.

فالإنسان يميل إلى وصف الذكاء الذي يخدم مصالحه بالإبداع، بينما يصف الذكاء الذي يهدد مصالحه بالمكر والخداع.

الثعلب في الثقافة الإنسانية

تكاد لا تخلو حضارة إنسانية من قصص وأساطير جعلت من الثعلب بطلاً أو خصماً رئيسياً.

في التراث العربي، ظهر الثعلب بوصفه رمزاً للدهاء وسرعة البديهة، بينما ارتبط في الحكايات الأوروبية بالخداع والحيل الذكية التي تمكنه من الانتصار على حيوانات أكبر حجماً وأكثر قوة.

أما في بعض الثقافات الآسيوية فقد ارتبط بالحكمة والقدرات الخارقة للطبيعة.

ويكشف هذا التباين الثقافي عن حقيقة مهمة، وهي أن الحيوانات لا تحمل معاني أخلاقية في ذاتها، بل إن المجتمعات هي التي تمنحها تلك المعاني وفقاً لخبراتها وقيمها الخاصة.

فالأسد أصبح رمزاً للشجاعة، والبومة رمزاً للحكمة، والثعلب رمزاً للمكر، رغم أن هذه الصفات ليست سوى تأويلات بشرية لسلوكيات بيولوجية طبيعية.

التحليل النفسي والاجتماعي لصورة الثعلب

يرى علماء النفس الاجتماعي أن المجتمعات تميل إلى تجسيد صفاتها الإنسانية في الحيوانات، وهي عملية تُعرف بالإسقاط النفسي.

فعندما يصف الإنسان شخصاً بأنه ثعلب، فهو لا يقصد التشابه البيولوجي، بل يشير إلى مجموعة من السمات النفسية مثل الذكاء والقدرة على المناورة والمرونة الاجتماعية.

وتكشف هذه الظاهرة عن حاجة الإنسان إلى تبسيط العالم الاجتماعي المعقد من خلال الرموز والصور المجازية.

كما أن المجتمعات التي عاشت فترات طويلة من الصراع السياسي أو الاقتصادي تميل إلى تمجيد الذكاء الاستراتيجي أكثر من القوة الجسدية، وهو ما يفسر الحضور القوي لصورة الثعلب في الأدب الشعبي والسياسة.

قراءة فلسفية لرمزية الثعلب

يثير الثعلب سؤالاً فلسفياً قديماً: هل البقاء للأقوى أم للأذكى؟

ترى المدرسة الداروينية أن البقاء يكون للأكثر تكيفاً مع البيئة وليس للأقوى جسدياً. والثعلب يمثل تطبيقاً عملياً لهذه الفكرة؛ فهو لا ينافس الذئاب أو الدببة بالقوة، بل يعتمد على المرونة والسرعة وحسن استغلال الفرص.

أما الفلسفة البراغماتية فترى أن قيمة الفكرة أو السلوك تُقاس بمدى نجاحها العملي. ومن هذا المنظور يصبح سلوك الثعلب نموذجاً للبراغماتية الطبيعية، حيث يتم اختيار الاستراتيجية الأكثر فاعلية بغض النظر عن شكلها أو تعقيدها.

في المقابل، تنظر الفلسفة الأخلاقية التقليدية بحذر إلى هذا النوع من الذكاء عندما يتحول إلى استغلال أو خداع، مما يطرح إشكالية العلاقة بين الذكاء والأخلاق.

هل يمكن اعتبار الذكاء قيمة إيجابية دائماً ؟ أم أن القيمة الأخلاقية تعتمد على طريقة استخدام هذا الذكاء ؟

الثعلب لا يقدم إجابة مباشرة، لكنه يدفع الإنسان إلى إعادة التفكير في أحكامه الأخلاقية المسبقة.

الثعلب والمدارس الفكرية

تقدم المدارس الفكرية المختلفة قراءات متنوعة لصورة الثعلب :

المدرسة التطورية : ترى أن صفات الثعلب نتاج ملايين السنين من الانتخاب الطبيعي والتكيف البيئي.

المدرسة السلوكية : تفسر سلوك الثعلب بوصفه استجابة للمكافآت والعقوبات والخبرات السابقة.

المدرسة المعرفية : تركز على قدرته على التعلم والتخطيط وحل المشكلات واتخاذ القرار.

المدرسة البنيوية : ترى أن صورة الثعلب في الثقافة الإنسانية ليست مرتبطة بالحيوان نفسه، بل بالبنية الرمزية التي تنظم التفكير البشري.

المدرسة الوجودية : تنظر إلى الثعلب بوصفه كائناً يواجه العالم منفرداً، ويعتمد على اختياراته الخاصة من أجل البقاء.

الثعلب والإنسان المعاصر

في عالم الأعمال والسياسة والإدارة الحديثة، أصبحت المرونة وسرعة التكيف من أهم عوامل النجاح.

تشير تقارير اقتصادية عالمية إلى أن العديد من الشركات الكبرى التي اختفت خلال العقود الأخيرة لم تسقط بسبب ضعف مواردها، بل بسبب عجزها عن التكيف مع التغيرات التكنولوجية والاجتماعية.

وبالمقابل نجحت مؤسسات أصغر حجماً في الاستمرار بسبب قدرتها على تغيير استراتيجياتها بسرعة.

يشبه هذا الواقع إلى حد بعيد استراتيجية الثعلب في الطبيعة؛ فالحجم والقوة لم يعودا العامل الحاسم، بل القدرة على قراءة البيئة والاستجابة السريعة للتغيرات.

هل الثعلب ماكر حقاً ؟

ربما يكون السؤال الأكثر إثارة هو: هل الثعلب ماكر فعلاً ؟

من الناحية العلمية لا يوجد ما يسمى المكر في عالم الحيوان بالمعنى الأخلاقي الإنساني. فالحيوانات لا تتخذ قراراتها وفق مفاهيم الخير والشر، بل وفق غريزة البقاء.

إن وصف الثعلب بالمكر يعكس نظرتنا نحن إلى السلوك الذكي أكثر مما يعكس حقيقة الحيوان نفسه.

فالإنسان هو من صنع صورة الثعلب الماكر، ثم بدأ ينظر إلى الحيوان من خلال هذه الصورة التي صنعها بنفسه.

يظهر الثعلب الأحمر كأحد أكثر الكائنات قدرة على إثارة التأمل في العلاقة بين الطبيعة والثقافة، وبين البيولوجيا والفلسفة، وبين السلوك الحيواني والتفسير الإنساني.

إنه ليس مجرد حيوان صغير يعيش في الغابات والسهول، بل نموذج حي لفكرة التكيف والمرونة والقدرة على استثمار الفرص. كما أنه مرآة تعكس الطريقة التي يبني بها الإنسان رموزه الثقافية ويمنحها معاني أخلاقية واجتماعية تتجاوز الواقع البيولوجي.

وفي زمن تتسارع فيه التحولات السياسية والتكنولوجية والاقتصادية، ربما تصبح الحكمة التي يقدمها الثعلب أكثر أهمية من أي وقت مضى: البقاء لا يكون دائماً للأقوى، بل للأقدر على الفهم والتكيف وإعادة تشكيل استراتيجياته وفقاً لما يفرضه الواقع المتغير.

القناع الأجوف

حكاية همّام الأحمر ووهم الوجوه اللامعة

كان المساء يهبط على الغابة ببطء، كشيخ حكيم يفرش عباءته فوق الأرض ليريحها من صخب النهار و ضجيجه ،

في تلك الأمسية الخريفية الهادئة، كانت الرياح تمر بين الأشجار العتيقة فتداعب الأوراق اليابسة، فتتناثر في الهواء كرسائل قديمة ضاعت عناوين أصحابها، وكانت الشمس ، قبل رحيلها الأخير خلف التلال ، ترسل خيوطًا ذهبية شاحبة تلامس أطلال مسرح مهجور، لم تطأه قدم منذ سنوات طويلة،

وسط ذلك الصمت المهيب، كان الثعلب همّام الأحمر يسير وحيدًا ، لا أنيس له ،

لم يكن يبحث عن فريسة، ولم تكن معدته هي التي تقوده هذه المرة ، بل شيء أعمق من الجوع وأشد إلحاحًا من الحاجة،

كان يبحث عن إجابة، سؤال صغير في ألفاظه، كبير في ثقله:

لماذا يُخدع الناس بالمظاهر؟

رافقه هذا السؤال طويلًا،

كلما رأى من يُعظَّم بلا استحقاق، أو من يُهمَل رغم فضله، عاد السؤال يطرق أبواب عقله من جديد،

توقف عند بقايا المسرح القديم على أطراف الغابة ،

نظر إلى المقاعد الحجرية المتهالكة،

همس في نفسه :

كم غريب أمر هذا المكان،،، هنا كان الناس يصفقون للوجوه التي ترتدي الأقنعة ، ويبكون لمشاعر ليست حقيقية ، ويصدقون قصصًا يعرفون أنها مختلقة، فلماذا كانوا يستمتعون بالخداع وهم يعلمون أنه خداع ؟

ظل السؤال يتردد داخله كصدى بعيد،

وفجأة،،،

لمح شيئًا يلمع بين الغبار، اقترب بحذر،

كانت هناك ومضة صغيرة تشق التراب والأوراق اليابسة،

أزاح الأوراق بمخالبه،

ثم تجمد في مكانه،

قناع ، قناع بديع الصنع ، وجه مهيب ، جبين واسع ، عينان نافذتان ، وملامح توحي بالحكمة والسلطان،

بدا كأنه وجه ملك عظيم أو فيلسوف خلدته الأزمنة،

ظل همّام يتأمله طويلًا ، دار حوله مرة ، ثم مرتين،

وشمه كما يفعل الثعالب حين تشك في الأشياء،

ثم حمله بين يديه ، رفع القناع نحو الضوء ، كان جميلًا إلى حد يثير الإعجاب،

لكن شيئًا ما دفعه لأن ينظر إلى داخله ، وعندما فعل،،، انطفأت الدهشة في عينيه ، وحلت مكانها ابتسامة ساخرة،

قلب القناع بين يديه وقال بصوت خافت :

ما أجملك من الخارج،،، وما أشد فراغك من الداخل ، جلس تحت شجرة سنديان قريبة،

ووضع القناع أمامه ، ظل يحدق فيه كأنه يحاوره،

ثم بدأ حديثًا داخليًا لم يسمعه أحد سواه،

أليس هذا حال كثيرين ؟ كم مرة رأيت وجهًا مهيبًا يخفي عقلًا فارغًا ؟ وكم مرة مررت بجوار روح عظيمة، لكن أحدًا لم يلتفت إليها لأنها لم تتزين بما يكفي ؟

شعر بشيء من الحزن ، لم يكن حزنًا على القناع ، بل على الذين يعيشون حياتهم كلها وهم يطاردون بريق الوجوه، وينسون نور الأرواح،

وعندها قفزت إلى ذاكرته صورة قديمة ، صورة طاووس كان يعيش عند طرف الغابة،

كان الطاووس يقضي ساعات طويلة أمام صفحة الماء ، يفرد ريشه الملون ، يدور حول نفسه ، ويبتسم لصورته المنعكسة،

وكانت الحيوانات تنبهر به كل يوم ، حتى ظنت أن الجمال دليل على التفوق،

لكن ذات صيف، فاض جدول الماء الصغير الذي يفصل بين جهتي الغابة،

احتجز الصغار على الضفة الأخرى،

ساد الارتباك،

اجتمعت الحيوانات،

نظر الجميع إلى الطاووس منتظرين حلاً،

وقف الطاووس منتصبًا، هز ريشه، ثم،،، لم يفعل شيئًا،

أما العصفور الصغير الذي لم يكن أحد يلتفت إليه، فقد جمع الأغصان واحدة تلو الأخرى،

وحملها بمنقاره ، وبنى جسرًا بسيطًا،

عبر عليه الجميع،

في ذلك اليوم فهم همّام درسًا لم ينسه قط :

أن الريش لا يبني الجسور،

وأن المظاهر لا تنقذ أحدًا،

وأن القيمة الحقيقية تسكن حيث لا تنظر العيون عادة،

في العقل، وفي القلب،

*

في صباح اليوم التالي، حمل همّام القناع إلى ساحة الغابة،

كانت الحيوانات قد تجمعت كعادتها،

رفع القناع عاليًا وقال :

أيها الأصدقاء،،، ماذا ترون ؟

قفز الأرنب بحماس :

أرى وجهًا جميلًا،

قال الغزال :

أرى شخصية عظيمة،

وأضاف الحمار بإعجاب :

لا بد أنه حكيم كبير،

ابتسم همّام، ثم سأل بهدوء :

وهل رأى أحدكم ما بداخله ؟

ساد الصمت،

اقتربت الحيوانات، وأخذت تنظر إلى القناع من الخلف،

لحظة واحدة كانت كافية، فقد اكتشف الجميع أنه أجوف تمامًا، لا شيء داخله، مجرد فراغ،

تبادلوا النظرات،

وشعر بعضهم بالخجل،

أما همّام فجلس فوق صخرة وقال :

هكذا نفعل كثيرًا،

نرى الواجهة فنحكم، نرى الصورة فنصدق، نرى الكلام الجميل فننبهر،

ثم صمت قليلًا قبل أن يضيف :

لكن الحقيقة لا تسكن الواجهة،

كانت الكلمات بسيطة، غير أن وقعها كان ثقيلًا،

قال الأرنب :

ولكننا لا نستطيع رؤية ما في الداخل دائمًا،

هز همّام رأسه موافقًا، ثم قال :

صحيح، ولهذا يجب ألا نتعجل، فالعقل لا يظهر من الوجه، والأخلاق لا تُقاس بالثياب، والحكمة لا تسكن الأصوات العالية،

في تلك اللحظة تقدمت سلحفاة عجوز اشتهرت بالحكمة ، كانت خطواتها بطيئة، لكن كلماتها دائمًا تصل قبل الجميع، قالت :

يا همّام ، لقد ذكرتني بحكاية من عالم البشر،

اقتربت الحيوانات، وأصغت،

قالت السلحفاة :

كان هناك شاب يقضي نصف يومه أمام المرآة، يختار ثيابه بعناية، ويرتب كلماته، ويهتم كثيرًا بالصورة التي يراها الناس، وكان يظن أن النجاح يعني أن يراه الآخرون ناجحًا،

توقفت قليلًا، ثم تابعت :

وفي المدينة نفسها كان شاب آخر، لا أحد يلتفت إليه كثيرًا، كان يقضي وقته في التعلم، ويعمل بصمت، ويساعد الناس حين يحتاجون إليه،

مرت السنوات، اختفى الأول وسط الزحام، أما الثاني فبقي في الذاكرة،

رفع الأرنب أذنيه وسأل:

ولماذا ؟

ابتسمت السلحفاة،

وقالت:

لأن الناس ينسون الوجوه، لكنهم لا ينسون الأثر،

ساد الصمت مرة أخرى، غير أن هذا الصمت كان مختلفًا، كان صمت التفكير، صمت المراجعة،

أما الحمار فقد بدا عليه الاضطراب، كان أكثر الحيوانات انبهارًا بالمظاهر،

كم مرة منح ثقته لمن يتحدث بثقة فقط ؟ وكم مرة خدعته الهيبة ؟

اقترب من همّام وقال بصوت خافت :

أشعر أنني كنت مخطئًا،

ابتسم الثعلب بلطف، وقال :

كلنا نخطئ، المهم أن نتعلم،

جلس الحمار بجواره، وسأله:

كيف أعرف حقيقة الناس ؟

نظر همّام نحو الأشجار البعيدة، ثم قال :

لا تنظر إلى ما يقولونه عن أنفسهم، انظر إلى ما يفعلونه، لا تسأل كيف يبدون، اسأل كيف يعاملون الآخرين، ولا تبحث عن لمعان الأوراق، ابحث عن الثمار،

ثم أضاف :

فالشجرة تُعرف من ثمرها، لا من ظلها،

مرت الأيام، ثم الشهور، وعُلِّق القناع في وسط الساحة، صار الجميع يمرون به، الكبار يبتسمون، والصغار يسألون عن قصته، فيعيدون روايتها مرة بعد أخرى،

ومع الزمن، تحول القناع إلى معلم صامت، لا يتكلم، لكنه يعلّم، ولا يتحرك، لكنه يوقظ العقول،

بدأت أشياء كثيرة تتغير في الغابة، صار الصغار يسألون عن العلم قبل الشهرة، وعن الأخلاق قبل المظهر، وعن العمل قبل الكلام،

أما همّام الأحمر، فكان كلما مر بجوار القناع يتوقف لحظة، وينظر إلى الفراغ المختبئ داخله، ثم يغوص في تأملاته القديمة،

وكان يقول في نفسه :

كم من إنسان يقضي عمره يزين قناعه وينسى روحه ! كم من شخص يلمع أمام الناس بينما ينطفئ من الداخل ! وكم من روح عظيمة لا تجد من يراها لأنها لا تعرف كيف تتزين !

ثم يبتسم بحزن، لقد أدرك أخيرًا أن أكبر مأساة ليست أن يخدعنا *الآخرون*، بل أن نخدع أنفسنا، أن نقضي حياتنا نبني صورة بدل أن نبني حقيقة، ونجمع المعجبين بدل أن نجمع الفضائل، ونعتني بالواجهة أكثر من اعتنائنا بالأساس،

ومرت الأعوام، وبقي القناع معلقًا في مكانه، تغسله الأمطار، وتداعبه الرياح، وتلون الشمس أطرافه كل مساء، لكنه لم يعد رمزًا للجمال، ولا للهيبة، ولا للفخامة، بل أصبح رمزًا لحقيقة أعمق، حقيقة تتكرر في كل زمان ومكان،

في الغابة، وفي المدن، وفي المدارس، وفي أماكن العمل، بل حتى خلف الشاشات اللامعة ووسائل التواصل الحديثة،

هناك أيضًا أقنعة كثيرة، صور براقة، وكلمات منمقة، ومظاهر تخطف الأبصار، لكنها لا تكشف دائمًا عن حقيقة أصحابها، فليس النجاح عدد المتابعين، ولا قيمة الإنسان فيما يرتديه، ولا مكانته فيما يدّعيه عن نفسه، إنما فيما يقدمه من علم، وفيما يزرعه من خير، وفيما يتركه من أثر نافع في حياة الآخرين،

وحين غربت الشمس ذات مساء، وأخذ الضوء الذهبي ينسحب ببطء من الساحة، وقف همّام الأحمر أمام القناع للمرة الأخيرة، تأمله طويلًا، ثم قال:

الوجوه قد تخدع العيون، أما الأفعال فلا تخدع القلوب،

ورفعت الريح ورقة خريفية صغيرة، فدارت حول القناع ثم مضت بعيدًا، كأنها تحمل الحكمة إلى مكان آخر،

أما القناع فظل معلقًا في صمته الأبدي، يردد لكل من يراه رسالة واحدة:

ليس كل ما يلمع ذهبًا، وليس كل وجه جميل يحمل روحًا جميلة، فالعقول المضيئة هي التي تصنع قيمة الإنسان، أما الأقنعة فلا تصنع إلا الوهم،

مِحْرابُ الثعلب

حين ارتدى المكرُ ثوبَ القداسة

في صباحٍ بدا هادئاً على غير عادته، كانت الغابة تستيقظ ببطءٍ تحت ضوءٍ شاحبٍ يتسلّل بين الأغصان، كانت العصافير تنفض عن أجنحتها بقايا الليل، وكانت الريح تمرّ خفيفةً فوق الأعشاب كأنها تهمس بأسرارٍ لا يسمعها إلا من أثقلته الحياة بالأسئلة،

وفي ذلك الصباح، ظهر الثعلب، لكنّه لم يظهر كما عرفته الغابة دائماً،

لم يكن يركض خلف فريسة، ولم يكن يختبئ بين الشجيرات مترصداً، بل خرج متأنقاً في هيئةٍ جديدة، يمشي بخطواتٍ محسوبة، وقد ارتسمت على وجهه مسحةُ وقارٍ غريبة، رفع رأسه عالياً، وأرخى جفنيه في خشوعٍ مصطنع، حتى خُيّل لمن يراه أنّه خرج لتوّه من خلوةٍ طويلة مع الحكمة،

وقف فوق صخرةٍ مرتفعة، ثم قال بصوتٍ رخيم:

يا أهل الغابة، يا من أرهقتهم شهوات الدنيا ، أما آن للقلوب أن تتطهّر ؟

التفتت الحيوانات إليه في دهشة،

أكمل حديثه :

لقد رأيتُ ما لم تروا، وعرفتُ ما لم تعرفوا، إنّ طريق النجاة هو الزهد، وإنّ الطمع أصلُ البلاء، والمكرُ بابُ الهلاك،

ساد صمتٌ عجيب،

ثم بدأ الثعلب يهاجم المخادعين والمحتالين، ويصبّ عليهم اللعنات صبّاً، حتى كاد السامعون ينسون أنّ المتحدث هو أكثر أهل الغابة شهرةً بالمكر والخداع،

قال الأرنب الصغير لجاره السنجاب :

ما أعجب هذا الأمر ! أهو الثعلب حقاً ؟

أجاب السنجاب :

يبدو أنّه تغيّر،

أما البومة العجوز، التي كانت تراقب المشهد من أعلى الشجرة، فقد هزّت رأسها بصمت، ولم تقل شيئاً،

في الأيام التالية، تحوّل الثعلب إلى واعظٍ مشهور، كان يجوب أنحاء الغابة خطيباً ومذكّراً، يقول للحيوانات :

ازهدوا في الدنيا،

ويقول للطير :

كثرة الطعام تفسد الأرواح،

ويقول للجميع :

التوبة باب النجاة،

وكانت كلماته منمّقة، وأسلوبه مؤثراً، حتى بدأ كثيرون يصدقونه،

لكن شيئاً في داخله لم يكن مطمئناً، في أعماقه المظلمة، حيث تختبئ النوايا الحقيقية، كانت تدور معركةٌ لا يراها أحد،

كان يعود ليلاً إلى جحره، فيجلس وحده تحت الظلام،

هناك فقط يسقط القناع، هناك فقط يواجه نفسه،

نظر إلى انعكاسه في بركة ماءٍ راكدة وقال هامساً :

لماذا لا أكتفي بما أنا عليه ؟

جاءه صوتٌ خفي من داخله :

لأنهم لم يعودوا يخافونك كما كانوا،

وهل أريد خوفهم ؟

بل تريد سلطتهم عليك أن تعود، تريد أن تدخل قلوبهم من بابٍ جديد،

صمت قليلاً، ثم ابتسم ابتسامةً باردة،

نعم ، إنهم يحذرون الثعلب، لكنهم يثقون بالواعظ،

ارتجف الماء أمام صورته ، وأدرك أنّه لم يتب قط، لقد غيّر الثوب فقط،

ومع مرور الوقت، ازداد نفوذه، وصارت الحيوانات تتسابق إلى الاستماع إليه،

لكن مشكلةً واحدة كانت تؤرقه، الديك، كان الديك صاحب مكانةٍ كبيرة بين الطيور، صاحب صوتٍ يوقظ الفجر، وصاحب سمعةٍ لم تلوثها الخديعة،

وكان الثعلب يعلم أنّ انضمام الديك إليه سيمنحه شرعيةً كاملة، لذلك أرسل إليه رسولاً، وصل الرسول عند الغروب،

وجد الديك واقفاً فوق سورٍ خشبي، يراقب الشمس وهي تغرق في الأفق،

قال الرسول:

أيها الديك الكريم، جئتُك برسالةٍ من الإمام الزاهد الثعلب،

ابتسم الديك ابتسامةً خفيفة،

الإمام ؟

قال الرسول بحماس :

نعم، إنه يدعوك لتكون مؤذن الغابة، وصوت الدعوة إلى الصلاح،

ظلّ الديك صامتاً، ثم سأل:

وهل صار الثعلب واعظاً حقاً ؟

لقد تغيّر كثيراً،

رفع الديك عينيه نحو السماء، كان الغروب يسكب ألوانه الحمراء فوق السحب،

همس لنفسه :

كم يشبه الغروب بعض البشر،،، يلبسون أجمل الألوان وهم في طريقهم إلى الظلام،

التفت إلى الرسول وقال :

اجلس، فلديّ جوابٌ يحتاج إلى بعض الوقت،

طوال تلك الليلة لم ينم الديك، جلس وحيداً فوق غصنٍ مرتفع، وكان يفكر، ليس في الثعلب وحده، بل في طبيعة الكائنات كلها،

قال في سرّه:

ما الذي يجعل الماكر يتحدث عن الفضيلة ؟ هل يمكن للشر أن يتعب من نفسه ؟ أم أنّه يبحث فقط عن طريقٍ أكثر ذكاءً للوصول إلى غايته ؟

تذكّر حكايات الأجداد، وتذكّر وجوهاً كثيرة مرّت عبر الزمن، وجوهاً كانت ترفع شعارات الخير بينما تخفي أنيابها خلف الكلمات،

شعر بحزنٍ عميق، فأخطر أنواع الخداع ليست تلك التي تسرق الطعام، بل تلك التي تسرق الثقة، وتسرق البراءة، وتجعل الناس يشكّون حتى في الفضيلة الحقيقية،

همس :

حين يتكلم الذئب عن الرحمة، لا أخاف على الخراف منه وحده ، بل أخاف على معنى الرحمة نفسه،

في الصباح، عاد الرسول، وسأله :

ما جوابك ؟

اعتدل الديك في وقفته، ثم قال بصوتٍ ثابت:

بلّغ الثعلب عني رسالةً لن تعجبه،

وما هي ؟

قال الديك:

قل له إنّ الحقيقة لا تتغيّر بتغيّر الأقنعة،

ارتبك الرسول،

لكن الديك تابع :

وقل له إنني ورثتُ عن أجدادي وصايا لا أنساها،

أي وصايا ؟

تنهد الديك، ثم قال :

قالوا لنا: لا تنخدعوا بالكلمات إذا خالفتها السيرة، ولا تثقوا بمن جعل الخداع مهنةً ثم ادّعى أنّه صار رسولاً للحقيقة،

صمت لحظة، ثم أضاف:

وقل له إنّ المكر إذا لبس ثوب القداسة صار أكثر خطراً من المكر العاري،

وصلت الرسالة إلى الثعلب،

في البداية حاول أن يضحك، لكن شيئاً في داخله انكسر،

كانت كلمات الديك تصيب أماكن خفية حاول طويلاً أن يدفنها،

جلس وحيداً في جحره،

والصمت يحيط به من كل جانب، قال لنفسه :

لماذا أغضبني كلامه ؟

جاءه الجواب من أعماقه :

لأنه صدق،

أغمض عينيه بعنف،

لكن الصوت استمر :

أنت لا تريد إصلاح الغابة، أنت تريد امتلاكها، لا تبحث عن الخير، بل عن سلطةٍ جديدة،

شعر بالاختناق، ولأول مرة منذ زمنٍ طويل، لم يجد حيلةً يهرب بها من نفسه،

في اليوم التالي، اجتمعت الحيوانات كالعادة لسماع موعظته،

صعد إلى الصخرة،

نظر إلى الوجوه المنتظرة،

الأرنب، السنجاب، العصافير، الغزلان،

وجوهٌ وثقت به،

وفجأة شعر بثقلٍ هائل فوق صدره، تذكّر كلمات الديك، وتذكّر صورته في الماء، وتذكّر السنوات الطويلة التي قضاها يخدع الجميع، حتى نفسه،

وقف صامتاً، طال الصمت، ثم قال بصوتٍ خافت :

أيها الأصدقاء .

نظروا إليه باستغراب،

أكمل :

كنتُ أظن أن الكلمة الجميلة تكفي لتصنع إنساناً صالحاً،

ثم هزّ رأسه،

لكنها لا تكفي،

ازدادت دهشة الحاضرين،

قال :

كنت أهاجم الماكرين، بينما المكر يسكنني، وأدعو إلى الزهد، بينما قلبي جائع إلى النفوذ،

ارتجفت الكلمات على شفتيه،

لقد كذبت عليكم،

ساد الصمت، صمتٌ ثقيلٌ وعميق،

لكن البومة العجوز أغمضت عينيها كأنها كانت تنتظر هذه اللحظة منذ البداية،

غادر الثعلب المكان بعد ذلك،

ومضت الأيام، واختلفت الروايات حول ما حدث له، قال بعضهم إنه عاد إلى طباعه القديمة، وقال آخرون إنه بدأ رحلةً طويلة مع نفسه بعيداً عن الغابة،

لكن الحيوانات احتفظت بدرسٍ لم تنسه،

فليست العبرة في جمال الكلمات، ولا في كثرة الشعارات، ولا في المظهر الذي يرتديه المرء، إنما العبرة في المسافة بين اللسان والقلب، بين الادعاء والحقيقة، بين ما يُقال وما يُفعل،

أما الديك، فظلّ يوقظ الفجر كل صباح،

وحين كان صوته يملأ الأفق، كانت البومة العجوز تبتسم وتتمتم:

ما أسهل أن يتحدث المرء عن النور،،، وما أصعب أن يكون نوراً،

ولهذا بقيت حكمة الأجداد تتردد بين أشجار الغابة جيلاً بعد جيل :

مخطئٌ من ظنَّ يوماً أنَّ للثعلب ديناً

ليس لأنّ الثعلب ثعلبٌ فحسب، بل لأنّ الأقنعة مهما أتقنت أدوارها، لا تستطيع أن تخدع الحقيقة إلى الأبد، فالحقيقة صبورة، تمشي ببطءٍ أحياناً، لكنها تصل دائماً،

الثعلب الذي طارده ظله

في صباحٍ ربيعيٍّ هادئ، كانت الغابة تستيقظ على أنغام الحياة. تسللت أشعة الشمس بين أغصان الأشجار، ورسمت فوق الأرض بقعًا ذهبية تشبه أحلامًا صغيرة متناثرة. خرجت الحيوانات من بيوتها باكرًا، كلٌّ منها يحمل همّه الجميل؛ النحلة تجمع الرحيق، والسنجاب يخزن الطعام، والعصافير تنسج يومها بالغناء والعمل.

أما الثعلب، فكان يمشي وحده في أحد الممرات الترابية الضيقة. خطواته بطيئة، وعيناه تجولان في المكان بحثًا عن شيء يأكله أو فرصة يخدع بها أحدًا.

كان يشعر بالجوع، لكنّ شيئًا آخر كان ينهش قلبه أيضًا.

كلما مرّ بحيوانٍ ابتعد عنه الآخرون. لم يحيّوه، ولم يبادلوا نظرته بنظرة. كانوا يشيحون بوجوههم أو يسرعون في السير.

تظاهر الثعلب باللامبالاة، لكنه في أعماقه كان يسمع صوتًا خافتًا يهمس:

لماذا يهرب الجميع مني ؟

وسرعان ما كان يجيب نفسه بغضب:

لأنهم ضعفاء... لأنهم لا يفهمونني.

لكن صوتًا أعمق كان يرد عليه :

أم لأنهم يعرفون حقيقتك ؟

هزّ رأسه بعصبية كمن يطرد فكرة مزعجة، وأكمل سيره.

وفجأة لمحت عيناه شيئًا برتقاليًا يلمع بين الخضرة.

كان أرنبًا صغيرًا يقفز بخفة، يحمل بين يديه حبة جزر كبيرة تكاد تكون بحجم ذراعيه الصغيرتين. بدا سعيدًا وفخورًا بما يحمله، كأنّه عاد بغنيمة عظيمة إلى منزله.

ابتسم الثعلب ابتسامة ماكرة.

وقال في نفسه :

وجبة صغيرة ولذيذة... ولن تكلفني الكثير من الجهد.

اقترب منه بهدوء حتى صار على مسافة قريبة، ثم ناداه بصوتٍ لطيف لم يعتد أحد سماعه منه :

صباح الخير أيها الأرنب الصغير، كيف حالك ؟

التفت الأرنب مذعورًا. وما إن رأى الثعلب حتى اتسعت عيناه خوفًا. تراجع خطوة إلى الخلف وقال بتلعثم:

أ... أنا بخير.

كان مستعدًا للهرب، لكن الثعلب رفع كفيه متظاهرًا بالبراءة.

لا تخف. لماذا ترتجف هكذا ؟ هل أخفتك ؟

لم يجب الأرنب.

ابتسم الثعلب و قال :

كنت أبحث عن صديق ألعب معه فقط.

نظر الأرنب إليه بريبة.

صديق ؟

نعم، صديق. ألا يحق لي أن أكون لطيفًا ؟

ظل الأرنب صامتًا للحظات، ثم قال :

أمي أخبرتني ألا أقترب منك.

ارتفعت حاجبا الثعلب.

حقًا ؟ وماذا قالت ؟

تنهد الأرنب وقال :

قالت إنك مخادع، وإنك تؤذي الجميع.

ضحك الثعلب ضحكة قصيرة.

وهل تصدق كل ما تسمعه ؟

ثم اقترب قليلًا وأضاف بنبرة ناعمة :

ربما أخطأت في الماضي، لكن الناس لا يعطونني فرصة لأتغير.

توقف الأرنب يفكر.

أما الثعلب فكان يراقب ملامحه بدقة.

في أعماقه لم يكن يفكر في الصداقة ولا التغيير. كان يفكر فقط في الجوع.

لكن الكلمات التي خرجت من فمه أيقظت شيئًا غريبًا داخله.

هل يمكن فعلًا أن أتغير ؟

سؤال مرّ سريعًا واختفى قبل أن يجد جوابًا.

قال الأرنب :

لا أعرف...

تعال نجرب اللعب قليلًا. وإن لم يعجبك الأمر يمكنك العودة إلى منزلك.

تردد الأرنب طويلًا. كان يتذكر نصيحة أمه. وكان يشعر أن قلبه الصغير يقرع ناقوس خطر. لكن فضوله انتصر في النهاية.

حسنًا... قليلًا فقط.

ابتسم الثعلب. ابتسامة لم يعرف الأرنب إن كانت ودودة أم مخيفة.

ذهبا معًا نحو منزل الأرنب.

وضع الأرنب حبة الجزر داخل البيت، ثم خرج مسرعًا.

لم تكن والدته قد عادت من عملها بعد.

قال الثعلب :

هيا إلى ذلك الحقل الجميل.

و انطلقا بين الأشجار.

في البداية كان اللعب ممتعًا.

ركض الأرنب وقفز بين الأزهار، ودار حول الشجيرات كفراشة بيضاء صغيرة.

ضحك للمرة الأولى منذ الصباح. و شعر أن مخاوفه بدأت تتلاشى.

أما الثعلب فكان يسير خلفه صامتًا. يبتسم حينًا. ويفكر حينًا آخر. وكان صوتان يتصارعان داخل رأسه.

الأول يقول :

دعه يمرح قليلًا، ثم التهمه .

والثاني يهمس :

إنه يثق بك .

فيهزّ الثعلب رأسه غاضبًا.

الثقة لا تطعم الجائعين .

ومع مرور الوقت ابتعد الأرنب عن منزله دون أن يشعر. لم يعد يرى السقف الخشبي الصغير. ولا الشجرة الكبيرة التي تقف بجوار بيته.

كان العالم حوله واسعًا ومليئًا بالألوان.

وفجأة... توقف الثعلب عن التمثيل.اختفت الابتسامة من وجهه. وبرز الجوع في عينيه كوحشٍ خرج من الظلام. بدأ يقترب بخطوات بطيئة. خطوة... ثم أخرى... ثم أخرى.

كان الأرنب منشغلًا بملاحقة فراشة بيضاء.

لكن شيئًا داخله شعر بالخطر.

التفت فجأة. فرأى الثعلب خلفه مباشرة. ورأى في عينيه حقيقة لم يستطع إخفاءها.

تجمدت أنفاسه. وفهم كل شيء في لحظة واحدة. فهم لماذا حذرته أمه. وفهم لماذا يهرب الجميع من الثعلب. وفهم أنه ارتكب خطأً كبيرًا.

صرخ قلبه قبل لسانه :

اهرب!

وانطلق بأقصى ما يملك من سرعة.

انتظر !

صاح الثعلب.

لكن الأرنب لم يلتفت. أخذ يقفز بين الأعشاب والشجيرات كأن الريح تدفعه.

أما الثعلب فانطلق خلفه. كان الجوع يدفعه. والغضب يحرقه. والفريسة تبتعد أكثر فأكثر.

ركض بكل قوته. لكن جسده لم يعد كما كان. فهو اعتاد الكسل والخداع أكثر من العمل. وبعد مسافة طويلة بدأت أنفاسه تتقطع. شعر بثقل في ساقيه. ودوار في رأسه.

ثم تعثر بجذر شجرة وسقط أرضًا. ضرب التراب بمخالبه وصاح غاضبًا :

توقف !

لكن الأرنب كان قد أصبح بعيدًا. بعيدًا جدًا. كأن الخوف منحه أجنحة.

ظل الأرنب يركض حتى لمح منزله أخيرًا.

وكانت أمه تقف عند الباب بعد أن عادت من عملها.

ما إن رأته حتى فزعت. كان يلهث بشدة. وعيناه ممتلئتان بالدموع. وأذناه ترتجفان.

أسرعت نحوه وقالت :

صغيري ! ماذا حدث ؟

ارتمى في حضنها باكيًا.

وكان بكاؤه يشبه مطرًا حبس نفسه طويلًا ثم انفجر.

ربتت الأم على رأسه بحنان.

اهدأ... أخبريني ماذا جرى.

رفع رأسه بصعوبة وقال :

لقد كنتِ محقة يا أمي.

ساد الصمت لحظة. ثم أكمل :

قابلت الثعلب... قال إنه يريد أن يصبح صديقي.

تنهدت الأم بحزن.

أما الأرنب فأردف :

صدقته... ولعبت معه.

ثم اختنق صوته وهو يقول :

لكنه أراد أكلي.

شدته أمه إلى صدرها أكثر.

وقالت بلطف :

الحمد لله أنك بخير.

بكى الأرنب من جديد.

أنا آسف... لم أسمع كلامك.

ابتسمت الأم ومسحت دموعه.

الخطأ لا يجعلنا سيئين يا صغيري، لكنه يعلمنا إن أحسنا الفهم.

نظر إليها بعينين دامعتين.

هل ستسامحينني ؟

بالطبع.

أعدك أن أكون أكثر حكمة.

قالت وهي تقبّل جبينه :

وأنا أعدك أن أبقى دائمًا بجانبك.

في تلك الأثناء كان الثعلب ما يزال مستلقيًا قرب الأشجار . متعبًا. وحيدًا. ينظر إلى السماء التي بدأت تميل إلى لون الغروب.

وللمرة الأولى منذ زمن طويل لم يفكر في الجوع. بل فكر في نفسه. تذكر نظرات الخوف التي يراها كل يوم. وتذكر الأرنب الصغير حين وثق به. ثم تذكر كيف خان تلك الثقة.

أغمض عينيه. وشعر أن وحدته ليست عقاب الغابة له. بل نتيجة اختياراته هو.

همس لنفسه بصوت خافت :

الجميع يهربون مني...

ثم سكت لحظة وأضاف :

وربما لأنني كنت أهرب من أن أصبح أفضل.

مرّ نسيم المساء بين الأشجار. ولم يجبه أحد.

لكن الثعلب شعر أن الحقيقة لأول مرة جلست إلى جواره.

أما في بيت الأرنب الصغير، فقد كان الدفء يملأ المكان.

جلس الأرنب قرب أمه يتناول قطعة من الجزر وهو يشعر بالأمان. وكان قد تعلم درسًا لن ينساه ما دام حيًا :

ليست كل ابتسامة صادقة، وليست كل كلمة لطيفة دليلًا على حسن النية. والحكمة الحقيقية أن نصغي لمن يحبوننا، لأن محبتهم ترى الأخطار قبل أن نراها نحن.

البستان الذي ضاق بالطمع

في سالفِ العصر والأوان، حين كانت الحكايات تُروى على ضوء القمر، وتنام بين أغصان الأشجار كما تنام الطيور في أعشاشها، كان هناك بستانٌ فريدٌ على أطراف قرية هادئة. لم يكن بستانًا عاديًّا؛ بل قطعةً من الجمال اقتُطعت من قلب الطبيعة ووُضعت على الأرض.

كانت الأشجار فيه تتمايل كأنها عرائسُ في مهرجانٍ أخضر، تحمل أغصانها عناقيد العنب، وحبات التين، وثمار التوت اللامعة. وكان نهرٌ صغير يشقّ طريقه بين الأشجار، يهمس للماء العذب فيجري رقراقًا، فيمنح الأرض حياةً لا تنضب. أما الهواء فكان معطرًا برائحة التراب المبلل وأزهار الربيع.

وكان لهذا البستان حارسٌ أمين؛ بستانيٌّ عجوز قضى سنوات عمره بين الأشجار. لم يكن ينظر إلى المزروعات على أنها مصدر رزقٍ فحسب، بل كان يعدّها أبناءً كبروا تحت رعايته. يعرف كل شجرة باسمها، ويشعر بحزنها إذا ذبل غصن، ويفرح إذا أينعت ثمرة.

ولأجل حماية هذا الجمال، أقام حول البستان سورًا مرتفعًا يمنع اللصوص والحيوانات العابثة من الدخول.

وفي غابة قريبة، كان يعيش ثعلبٌ اشتهر بين الحيوانات بدهائه أكثر مما اشتهر بعمله. كان سريع الحيلة، لكنه بطيء الاجتهاد. وكلما جاع، راح يبحث عن أقصر الطرق للحصول على الطعام.

وذات مساء، حملت الريح إلى أنفه رائحة الثمار الناضجة القادمة من البستان.

رفع رأسه واستنشق طويلًا.

ما هذه الرائحة ؟ !

ثم أغمض عينيه كأنّه يتذوقها.

عنب... وتين... وتوت... يا لها من وليمة !

تسلل إلى جوار السور، ونظر من خلال بعض الفجوات بين الحجارة. وما إن رأى الثمار المتدلية حتى اتسعت عيناه دهشة.

قال في نفسه :

كم يبدو هذا المكان غنيًّا ! والبستاني العجوز يملك كل هذا وحده ؟ أما أنا فأجوب الغابة طوال النهار لأحصل على لقمة واحدة !

لكن السور كان عاليًا، أعلى مما توقع.

حاول القفز. مرة. ثم مرتين. ثم عشر مرات. وفي كل مرة كان يسقط على الأرض متأففًا.

جلس أخيرًا تحت شجيرة قريبة وهو يلهث.

لا بد من طريق أخرى. لكل باب مفتاح، ولكل سور ثغرة.

وهكذا بدأ يدور حول البستان باحثًا عن منفذ.

وبعد طول بحث ، لمح فتحة صغيرة أسفل السور ، بالكاد تسمح بمرور جسده.

اقترب منها بحذر.

ضيقة جدًا...

ثم ابتسم ابتسامة ماكرة.

لكنها تكفي.

ضغط جسده بصعوبة بين الحجارة والتراب ، وخدشت الصخور جانبيه ، وكاد يختنق من ضيق الممر، لكنه واصل الزحف حتى خرج أخيرًا إلى داخل البستان.

ولما رفع رأسه، شعر كأنه دخل عالمًا آخر.

الأشجار تظلل المكان. الماء يلمع تحت أشعة الشمس الأخيرة. الثمار تتدلى في كل اتجاه.

وقف مشدوهًا للحظات.

ثم قال لنفسه :

لقد نجحت ! لم يرني أحد. هذا البستان أصبح لي اليوم.

ركض أولًا نحو النهر. شرب جرعة. ثم ثانية. ثم ثالثة.

حتى امتلأت معدته بالماء البارد.

تنهد في راحة.

ما أعذب هذا الماء !

بعدها اتجه نحو الأشجار.

أكل من العنب. ثم من التين. ثم من التوت.

ولم يكتفِ بذلك.

أكل الجزر من الحقول الصغيرة. وقضم الخيار. وتذوق البطيخ.

وكان كلما شبع من شيء انتقل إلى غيره.

كأن خوف الجوع القديم المختبئ في أعماقه يدفعه إلى التهام كل ما تقع عليه عيناه.

وبينما كان يلتهم الثمار بنهم، بدأ صوت داخلي يتحدث إليه.

كفى... لقد شبعت .

لكنه تجاهله.

ماذا لو جعت غدًا ؟

رد على نفسه :

سآكل اليوم ما يكفيني لأيام.

لكن معدتك لم تعد تحتمل.

دعها تتمدد .

كان حوارًا خفيًّا بين الجوع والطمع. بين الحاجة والرغبة. بين ما يكفي وما لا يكفي. وفي النهاية انتصر الطمع.

فأكل أكثر. وأكثر.وأكثر.

حتى صار بطنه منتفخًا كقربة مملوءة بالماء.

وفجأة...

سمع حفيفًا بين الأشجار. ثم وقع خطوات. ثم صوتًا مألوفًا. صوت البستاني.

كان العجوز قد سمع الحركة غير المعتادة، فجاء يتفقد المكان.

ارتجف الثعلب. وشعر بأن قلبه يقفز داخل صدره.

البستاني !

قفز مذعورًا واتجه نحو الفتحة التي دخل منها.

لكن المفاجأة كانت قاسية.

حاول العبور. فعلق. دفع نفسه. فلم يتحرك. حاول مرة أخرى.

ولكن بطنه المنتفخ اصطدم بحواف الفتحة الضيقة.

تراجع وهو يلهث. ونظرة الرعب تزداد في عينيه.

كيف حدث هذا ؟

عاد يحاول. مرة. ومرتين. وثلاثًا. لكن دون جدوى.

كان السور نفسه الذي سمح له بالدخول يرفض الآن خروجه.

في تلك اللحظة شعر الثعلب بشيء لم يشعر به من قبل.

لم يكن الخوف من البستاني فقط. بل الخوف من نفسه.

جلس قرب السور وهو يلهث. وقال في سرّه :

دخلت خفيفًا وحرًّا... فكيف أصبحت أسيرًا لما أكلت ؟

وتسللت إلى قلبه فكرة موجعة.

لم يحتجزني السور... احتجزني طمعي.

ولأول مرة رأى الحقيقة واضحة أمامه.

لم تكن المشكلة في الفتحة. ولا في البستاني. ولا في الحظ. بل فيه هو. في تلك الرغبة التي لا تعرف حدًّا.

لكن الوقت لم يكن مناسبًا للتأمل طويلًا.

فخطوات البستاني كانت تقترب.

اقترب أكثر. وأكثر. حتى صار على مسافة قريبة.

وهنا لمعت في رأس الثعلب حيلة جديدة. تمدد على الأرض. وأغلق عينيه. وحبس أنفاسه.

وقال في نفسه:

سأمثل الموت. عندما يراني البستاني سيظن أنني هلكت، فيحملني خارج السور، وعندها أهرب.

وصل البستاني. توقف أمامه. نظر إليه طويلًا.

ثم تنهد وقال :

آه أيها الثعلب المسكين.

ظل الثعلب ساكنًا.

فأكمل العجوز :

يبدو أن نهمك قتلك قبل أن أصل إليك.

وكاد الثعلب يفرح بنجاح خطته.

لكن الكلمات التالية سقطت عليه كالصاعقة.

قال البستاني :

لا يليق أن يبقى جسدك هنا. سأحفر لك قبرًا وأدفنك في طرف البستان. ثم استدار ومضى ليجلب أدوات الحفر.

فتح الثعلب عينيه فجأة. وكأن السماء سقطت فوق رأسه.

قبر ؟ !

وقف مذعورًا.

وأخذ يدور حول نفسه.

يا للمصيبة ! كنت أهرب من العصا، فإذا بي أقترب من القبر !

تسارعت أنفاسه. وبرقت في رأسه فكرة أخيرة.

الحل الوحيد. أن يعود إلى حجمه الطبيعي. ركض خلف شجرة بعيدة. وأخذ يتخلص مما أكله بنهم طوال الساعات الماضية.

كانت لحظات مرهقة ومهينة. لكن الخوف كان أقوى من الكبرياء.

ومع كل ما يخرجه من بطنه، كان يشعر بأنه يستعيد حريته شيئًا فشيئًا.

بعد وقت قصير، عاد جسده كما كان. أخف وأصغر. وأسرع.

ركض نحو الفتحة. ودخلها بصعوبة.

لكن هذه المرة نجح. خرج إلى الجهة الأخرى من السور.

ثم اندفع عبر الحقول والغابة بأقصى سرعته.

لم يتوقف إلا بعد أن ابتعد كثيرًا.

جلس تحت شجرة كبيرة يلتقط أنفاسه. وراح ينظر إلى البستان البعيد.

كانت الشمس تميل نحو الغروب. والأفق يكتسي بلون ذهبي هادئ.

ابتسم ابتسامة متعبة و قال :

أيها البستان الجميل... ماؤك عذب ، وثمارك شهية ، لكنني لن أعود إليك أبدًا إن كان عليّ أن أخرج منك كما دخلت !

ثم سكت قليلًا.

ولم تكن كلماته هذه المرة ساخرة كما اعتاد. بل كانت ممزوجة بشيء من الحكمة.

ظل الثعلب طويلًا يفكر فيما جرى.

وفهم أخيرًا أن الإنسان أو الحيوان لا يصبح فقيرًا بسبب قلة ما يملك دائمًا، بل قد يصبح أسيرًا بسبب رغبته في امتلاك المزيد.

لقد دخل البستان جائعًا.

وكان يستطيع أن يأكل ما يسد حاجته ثم يغادر. لكنه أراد أكثر مما يحتاج. فكاد يفقد حريته وحياته معًا.

أما البستاني، فعاد إلى أشجاره يعتني بها كعادته، ولم يعلم أن الثعلب ترك خلفه درسًا أثمن من كل الثمار.

درسًا يقول إن الطمع يبدأ بلقمة زائدة، لكنه قد ينتهي بقيدٍ لا يُرى. وأن الحيلة قد تنجح مرة، لكنها لا تمنح صاحبها راحة القلب.

فالخير الذي يأتي من الجهد والعمل يبقى مباركًا، أما ما يُؤخذ بالمكر والسرقة فغالبًا ما يترك وراءه خوفًا وندمًا.

وهكذا بقيت حكاية البستاني والثعلب تُروى جيلاً بعد جيل ، لا لأنها تتحدث عن ثعلبٍ سرق ثمارًا، بل لأنها تحكي عن معركةٍ أزلية تدور داخل كل نفس: معركة بين القناعة والطمع ، وبين الطريق السهل والطريق الصحيح.

وفي تلك المعركة، لا ينجو حقًّا إلا من عرف متى يكتفي.

حين يهزم العقلُ القوةَ ويكشف الغرورُ صاحبه

في ليلة هادئة من ليالي الغابة العريقة ، كانت الرياح تداعب أوراق الأشجار العالية، بينما كانت النجوم تلمع كحبات اللؤلؤ في السماء. بدا كل شيء ساكنًا وجميلًا، لكن خلف هذا الهدوء كانت القلوب ترتجف خوفًا ، وكانت العيون تسهر حزنًا.

ففي تلك الغابة الواسعة عاش فيل ضخم ، لم يكن مشهورًا بحكمته أو رحمته، بل بقوته المفرطة وغروره الكبير. كان يظن أن القوة تمنحه الحق في فعل ما يشاء ، وأن ضخامة جسده تجعله فوق الجميع. ولم يكن أحد يجرؤ على معارضته أو الوقوف في وجهه.

كل صباح، كان الفيل يخرج متباهياً بحجمه الهائل. تهتز الأرض تحت قدميه ، وتتطاير الطيور من أعشاشها خوفًا من اقترابه. كان يقتلع الأشجار الصغيرة دون حاجة، ويحطم الأغصان الغضة لمجرد التسلية. وإذا صادف جحرًا لأحد الحيوانات الصغيرة ، داسه دون أن يلتفت إلى من يعيش داخله.

لم يكن يسمع صرخات الألم ، ولا يرى الدموع التي يتركها خلفه. كان يرى نفسه الأقوى ، والأعظم ، والأحق بكل شيء.

ومع مرور الأيام ، تحولت الغابة الجميلة إلى مكان يسكنه الخوف. الطيور فقدت أعشاشها ، والأرانب خسرت جحورها ، والثعالب فقدت بعض صغارها تحت أقدام الفيل الثقيلة.

وكانت الحيوانات تهمس فيما بينها :

إلى متى سنعيش هكذا ؟ من يستطيع إيقافه ؟ إنه أقوى منا جميعًا.

حتى الأسد، الذي كان يُعرف بشجاعته ، فضل الابتعاد عن طريق الفيل. أما النمور والذئاب ، فكانت تتجنب لقاءه قدر الإمكان.

وفي إحدى الليالي ، حين اكتمل القمر وأضاء الغابة بنوره الفضي ، اجتمعت الحيوانات في مكان سري بين الأشجار الكثيفة. حضرت الطيور والأرانب والغزلان والقنافذ والثعالب. كانت الوجوه متعبة ، والقلوب مثقلة بالخوف.

قال أرنب صغير بصوت مرتجف :

لقد فقدتُ بيتي للمرة الثالثة هذا الشهر.

وقالت طائرة السنونو بحزن :

سقط عشي على الأرض، وضاعت فراخي.

وأضافت غزالة عجوز :

القوة التي لا يرافقها رحمة تتحول إلى ظلم.

ساد الصمت للحظات ، ثم نهض ثعلب معروف بذكائه وحكمته. لم يكن أكبر الثعالب سنًا ، لكنه كان أكثرها فطنة.

قال بهدوء :

إن مواجهة الفيل بالقوة مستحيلة ، لكن لكل مشكلة مفتاح ، ولكل قوة نقطة ضعف.

سأله أحد الحيوانات :

وما نقطة ضعفه ؟

ابتسم الثعلب وقال :

غروره.

تعجبت الحيوانات من إجابته.

فأكمل :

إنه يحب نفسه أكثر مما ينبغي ، ويصدق كل ما يرفع من شأنه. الغرور يجعل صاحبه أعمى ، فلا يرى الحقيقة حتى لو كانت أمامه.

أعجبت الحيوانات بكلامه ، وطلبت منه أن يفكر في حل ينقذ الغابة من هذا الظلم.

وافق الثعلب ، لكنه لم يتعجل الأمر. فقد كان يعلم أن الحكمة تحتاج إلى صبر ، وأن القرارات الكبيرة لا تُبنى على الانفعال.

قضى عدة أيام يراقب الفيل من بعيد. كان يراه يتفاخر بقوته أمام الحيوانات ، ويتحدث عن نفسه وكأنه ملك الغابة الحقيقي. وكلما راقبه أكثر ، ازداد يقينًا بأن غروره هو الطريق إلى هزيمته.

وفي صباح مشرق ، قرر الثعلب تنفيذ خطته.

اتجه نحو الفيل بخطوات هادئة ، بينما كان الفيل يستريح تحت شجرة ضخمة.

رفع الفيل رأسه متعجبًا وقال :

من هذا الذي يقترب مني دون خوف ؟

انحنى الثعلب باحترام وقال:

جئتُ في مهمة عظيمة يا سيدي.

نفخ الفيل خرطومه بفخر و قال :

تحدث بسرعة.

قال الثعلب :

اجتمعت حيوانات الغابة كلها، وبعد تفكير طويل اتفقت على أمر مهم.

اقترب الفيل باهتمام.

فسأله :

وما هو ؟

أجاب الثعلب :

لقد قررت الحيوانات أن الغابة تحتاج إلى ملك واحد يقودها، وقد وقع الاختيار عليك.

اتسعت عينا الفيل دهشة وسعادة. و قال :

عليّ أنا ؟

رد الثعلب :

نعم. الجميع يرى أنك الأقوى والأعظم.

شعر الفيل بنشوة كبيرة. كان هذا الحلم يرافقه منذ زمن طويل. لطالما أراد أن يعترف الجميع بتفوقه وسلطته.

قال بحماس :

وأين سيكون التتويج ؟

أجاب الثعلب :

في قلب الغابة، حيث اجتمعت الحيوانات لتحتفل بك. لقد أرسلوني خصيصًا لأرافقك إلى هناك.

نهض الفيل فورًا ، وبدأ يسير خلف الثعلب.

وخلال الطريق، كان يتخيل نفسه جالسًا على عرش عظيم ، والحيوانات تنحني أمامه. كان يسمع في خياله أصوات الهتاف والتصفيق. وكلما ازداد انشغاله بأحلام المجد، قل انتباهه للطريق الذي يسلكه.

أما الثعلب فكان يقوده نحو منطقة مهجورة في أطراف الغابة، حيث يوجد مستنقع قديم تختبئ مياهه تحت طبقة كثيفة من الوحل.

كانت الحيوانات تعرف خطورة ذلك المكان، لذلك كانت تبتعد عنه دائمًا.

وحين وصلا إلى هناك ، قفز الثعلب بخفة فوق جزء ضيق من الأرض الصلبة.

وقال :

من هنا يا مولاي، فالجميع ينتظرونك في الجهة الأخرى.

لم يشك الفيل في شيء. تقدم بخطوات واثقة.

لكن ما إن وضع قدمه الأولى حتى غاصت في الوحل. حاول التراجع، فغرقت القدم الثانية أيضًا. ازداد خوفه، وبدأ يتحرك بعنف. لكن كل حركة كانت تدفعه إلى الأسفل أكثر.

صرخ بصوت مرتفع :

ماذا يحدث ؟ !

ثم نظر إلى الثعلب و قال :

ساعدني بسرعة !

وقف الثعلب على مسافة آمنة.

كانت عيناه هادئتين ، لكنهما تحملان سنوات طويلة من الألم الذي عاشته الحيوانات.

قال الفيل بفزع :

أنقذني! سأمنحك ما تريد !

رد الثعلب :

وهل أنقذتَ يومًا أحدًا حين كان يستغيث بك ؟

سكت الفيل.

فأكمل الثعلب :

هل تذكّر أعشاش الطيور التي حطمتها ؟ هل تذكّر صغار الأرانب التي شردتها ؟ هل تذكّر جحور الثعالب التي سحقتها تحت قدميك ؟ هل تذكّر خوف الحيوانات منك ؟

بدأت كلمات الثعلب تتردد في أرجاء المكان كصدى الحقيقة.

و قال :

كنتَ تسمع صرخاتهم ولا تبالي. كنتَ تظن أن القوة تعني أن تفعل ما تشاء. لكنك نسيت أن القوة الحقيقية هي حماية الضعيف لا إيذاؤه.

شعر الفيل للمرة الأولى بثقل أخطائه. نظر حوله فلم يجد أحدًا يساعده.

تذكر كل المخلوقات التي ظلمها. وتذكر كيف كان يسخر من آلامها. حينها أدرك حقيقة مؤلمة :

أن من يزرع الخوف لا يحصد المحبة، ومن يهدم بيوت الآخرين قد يجد نفسه يومًا بلا معين.

قال بصوت خافت :

لقد أخطأت.

أجابه الثعلب :

الاعتراف بالخطأ فضيلة ، لكن بعض الأخطاء تترك آثارًا يصعب محوها.

واستمر الوحل في ابتلاع الفيل شيئًا فشيئًا.

وبينما كانت الشمس تميل نحو الغروب، اختفى ذلك العملاق الذي أرعب الغابة سنوات طويلة.

ساد الصمت للحظات.

ثم بدأت الحيوانات تخرج من مخابئها.

الطيور عادت إلى الأشجار. والأرانب خرجت من جحورها. والغزلان شربت من البركة دون خوف.

شعرت الغابة وكأنها تتنفس من جديد.

اجتمعت الحيوانات حول الثعلب تشكره، لكنه قال بتواضع :

لا تشكروني وحدي. لقد انتصرنا لأننا فكرنا معًا، وتعاونّا معًا.

ثم أضاف :

تذكروا دائمًا أن القوة قد تمنح صاحبها النفوذ، لكنها لا تمنحه الاحترام. أما الحكمة والعدل والرحمة فهي التي تصنع القائد الحقيقي.

ومنذ ذلك اليوم، تعلمت حيوانات الغابة درسًا لا يُنسى.

تعلمت أن الظلم قد يستمر فترة من الزمن، لكنه لا يدوم إلى الأبد.

وتعلمت أن الغرور يحجب عن الإنسان رؤية الحقيقة. وتعلمت أن العقل الهادئ قد يهزم القوة العمياء.

وفي المدارس التي أقامتها الحيوانات لصغارها بعد ذلك، كان الشيوخ يروون هذه القصة للأجيال الجديدة، ويقولون :

إذا امتلكت قوة، فاجعلها بابًا للخير لا وسيلة للظلم. وإذا امتلكت عقلًا، فاجعله نورًا للعدل لا أداة للانتقام. فالحياة لا ترفع المتكبرين طويلًا، لكنها تخلّد أصحاب الرحمة والحكمة.

وهكذا بقيت قصة الثعلب والفيل تتردد بين الأشجار، تحمل رسالة خالدة مفادها أن الكبرياء طريق إلى السقوط، وأن الرحمة والعدل هما أساس القيادة الحقيقية، وأن العقل المستنير قادر دائمًا على صنع التغيير مهما بدا الظلم قويًا وعظيمًا.

الغراب الذي لم تخدعه الكلمات

في قديم الزمان ، وعلى أطراف الدنيا التي لم تصلها ضوضاء المدن ولا صخب البشر، كانت تمتد غابة واسعة كأنها قطعة من حلم أخضر معلّق بين الأرض والسماء. كانت الأشجار فيها شاهقة تتعانق أغصانها، وتنساب بينها خيوط الشمس الذهبية فتنسج على الأرض لوحات من الضوء والظل.

عاشت في تلك الغابة مخلوقات كثيرة ؛ طيور تحلّق في الفضاء الرحب، وحيوانات تجوب المروج، وزواحف تختبئ بين الصخور، حتى بدا المكان كأنه مدينة كبيرة تتجاور فيها الأرواح المختلفة تحت سقف واحد.

ومن بين جميع سكان الغابة ، كان هناك غراب أسود الريش، لكنه أبيض القلب. لم يكن الأقوى بين الحيوانات، ولا الأسرع، ولا الأجمل هيئة، إلا أن الجميع كانوا يحبونه. كان يساعد الضعفاء، ويقف إلى جانب المحتاجين، ويواسي الحزانى بكلمات بسيطة صادقة. وإذا ضاع صغير عن أمه، ساعد في البحث عنه، وإذا مرض حيوان، حمل إليه الماء والطعام.

و لذلك احتلّ مكانة خاصة في قلوب الجميع ، لكن القلوب ليست سواء.

ففي زاوية بعيدة من الغابة كان يعيش ثعلب أحمر الفراء، حادّ العينين، متعجرف النفس، يرى العالم مرآة تعكس صورته فقط ، اسمه همام

كان الثعلب يراقب محبة الحيوانات للغراب، فتشتعل في داخله نار خفية.

وكان يحدث نفسه قائلًا :

لماذا يحبونه هو ؟ ما الذي يملكه أكثر مني ؟ أنا أذكى منهم جميعًا. أستطيع أن أخدعهم بكلمة، وأن أسلبهم ما يريدون دون أن أرفع مخلبًا واحدًا.

ولم يكن الثعلب يرى الخداع عيبًا، بل كان يراه دليل تفوق. كان ينام طويلًا حتى تميل الشمس نحو الغروب، ثم يخرج متبخترًا باحثًا عن فريسة جديدة لخداعه المعتاد.

في البداية نجحت حيله كثيرًا.

كان يسرق الطعام من هذا، ويخدع ذاك، ويأخذ ما لا يملكه دون جهد أو تعب.

لكن الأيام لا تبقى على حال.

فشيئًا فشيئًا بدأت الحيوانات تتبادل الخبرات وتحذر بعضها من مكره. وانتشر اسمه في الغابة لا بوصفه ذكيًا، بل بوصفه مخادعًا.

وذات صباح، خرج الثعلب جائعًا كعادته.

رأى بقرة ترعى في الحقل وتحمل إلى جوارها سلة مليئة بالطعام. اقترب منها مبتسمًا وقال:

يا سيدتي الكريمة ، لقد سمعت أن عشب هذا المكان مسموم ، وأردت تحذيرك.

نظرت إليه البقرة بهدوء و قالت :

حقًا ؟

ابتسم الثعلب في سرّه.

لكن البقرة أكملت :

سمعتُ أيضًا أنك لم تتغير بعد.

وقبل أن يفهم ما تقصده، رفعت ساقها الخلفية ووجهت إليه رفسة قوية جعلته يدور في الهواء كأوراق الخريف اليابسة.

سقط بعيدًا بين الأعشاب وهو يتأوه. نهض غاضبًا وهو يتمتم :

حمقاء ! لا تعرف قيمة نصيحتي.

لكنه في أعماقه كان يعرف الحقيقة. لقد انكشفت ألاعيبه.

واصل السير حتى رأى قطة صغيرة تطعم أبناءها.

اقترب متصنعًا اللطف. لكن القطة لم تنتظر حتى يتكلم.

حملت صغارها بسرعة ، وأغلقت باب منزلها الخشبي، ثم صاحت من الداخل :

ابحث عن طعامك بنفسك أيها المحتال !

ازدادت مرارة الثعلب . راح يتنقل بين أرجاء الغابة.

الفيل أبعده بخرطومه. والنمر زأر في وجهه حتى ارتجفت ركبتاه. أما القردة فقد أمطروه بجوز الهند والثمار اليابسة وهم يضحكون.

وفي محاولة أخيرة، اقترب من عش نسر ضخم، فاختطفه النسر بمخالبه وحلّق به عاليًا قبل أن يلقيه في النهر.

سقط الثعلب في الماء البارد وهو يصرخ ويرفس الهواء. ظل يسبح بصعوبة حتى وصل إلى الضفة منهكًا. جلس تحت شجرة كبيرة يلهث. كانت ثيابه مبللة، وكبرياؤه أكثر بللًا من جسده.

هناك رفع رأسه فرأى الغراب. كان واقفًا فوق غصن مرتفع، والنسيم يحرك ريشه الأسود اللامع. وفي منقاره قطعة جبن صفراء شهية.

في تلك اللحظة لمع الجوع في عيني الثعلب. وسال لعابه. ثم بدأت عجلات المكر تدور من جديد.

قال في نفسه :

لا أستطيع تسلق الشجرة... لكنني لا أحتاج إلى ذلك.

ارتسمت على وجهه ابتسامة ماكرة. وقف أسفل الشجرة ونادى بصوت ناعم :

أيها الغراب العزيز !

نظر الغراب إلى الأسفل.

نعم يا ثعلب ؟

قال الثعلب :

ما أجمل أن أراك! لقد كنت أبحث عنك منذ أيام.

أثار ذلك دهشة الغراب.

تبحث عني ؟

بالطبع. أتعرف ما الذي كان يدور في مجلس الحيوانات بالأمس ؟

سكت لحظة متعمدًا.

ثم تابع :

كانوا يتحدثون عنك.

شعر الغراب بالفضول.

وماذا قالوا ؟

أجاب الثعلب :

قالوا إنك أكثر سكان الغابة حكمةً وطيبة.

ابتسم الغراب في هدوء.

لكن الثعلب واصل نسج خيوطه.

بل إن الأسد نفسه قال إنه لم يسمع في حياته صوتًا أعذب من صوتك.

وهنا ضاقت عينا الغراب قليلًا.

بدأ يشم رائحة الخدعة.

أما الثعلب فاستمر :

لطالما حلمت أن أسمع إحدى أغنياتك. هل تحرمني هذه السعادة ؟

ساد الصمت.

كانت الريح تمر بين الأغصان وكأنها تهمس بشيء.

وفي داخل الغراب دار حوار طويل. قال لنفسه :

ما أغرب هذا الثعلب. لم يكن يهتم يومًا بالغناء ولا بالجمال. لماذا يفعل ذلك الآن ؟

نظر إلى قطعة الجبن. ثم نظر إلى الثعلب. فهم الأمر فجأة. كأن غيمة انقشعت عن السماء.

ابتسم في سره. و قال مخاطبًا نفسه :

الطيبة لا تعني السذاجة. ومن يعرف نوايا الناس لا يقع أسير كلماتهم.

لكن الغراب لم يشأ أن يفضح الثعلب مباشرة. أراد أن يمنحه درسًا يبقى في ذاكرته. لذلك أمسك قطعة الجبن بمخالبه، ووضعها بعناية تحت جناحه. ثم اعتدل فوق الغصن وقال :

حسنًا يا ثعلب ، سأغني لك.

اتسعت عينا الثعلب فرحًا. وظن أن النصر صار قريبًا.

رفع الغراب رأسه نحو السماء ، وأطلق صوته بين الأشجار. فامتلأت الغابة بالأصداء.

أما الثعلب فظل ينتظر سقوط الجبن. ثانية... وثانيتين... وثلاثًا... لكن شيئًا لم يسقط.

رفع رأسه فرأى قطعة الجبن مخبأة تحت جناح الغراب. عندها تجمدت ابتسامته. وشعر كأن الأرض تسحب منه ما بقي من كبريائه.

توقف الغراب عن الغناء وقال بهدوء :

أتعلم يا ثعلب ؟ الكلمات الجميلة تصبح قبيحة عندما تُستخدم للخداع.

خفض الثعلب رأسه. ولأول مرة لم يجد جوابًا.

ثم أكمل الغراب :

كنت أستطيع أن أفضحك أمام الجميع، لكنني أفضل أن تتعلم بنفسك.

سكت لحظة ثم قال :

الذكاء الحقيقي ليس في خداع الآخرين ، بل في أن تكسب احترامهم.

شعر الثعلب بوخزة غريبة في قلبه. لم تكن جوعًا هذه المرة. كانت شيئًا يشبه الخجل. نظر إلى الغراب طويلًا. ثم استدار ببطء وغادر.

كان يمشي بين الأشجار صامتًا.و للمرة الأولى لم يكن يفكر في سرقة طعام أحد. بل كان يفكر في نفسه.

في السنوات التي قضاها يطارد المكاسب السهلة. وفي الأبواب التي أُغلقت في وجهه. وفي القلوب التي فقدها بسبب غروره.

أما الغراب فبقي فوق غصنه يراقب الغابة الهادئة.

وكان يعرف أن بعض الدروس لا تحتاج إلى عقاب، بل تحتاج إلى لحظة صادقة يرى فيها الإنسان صورته الحقيقية.

ومنذ ذلك اليوم، ظلّت الحيوانات تروي حكاية الغراب والثعلب لأبنائها جيلاً بعد جيل.

حكاية تُذكّر الجميع بأن الطيبة ليست ضعفًا، وأن الحكمة تستطيع أن تهزم المكر دون صراخ، وأن الغرور يجعل صاحبه أعمى عن عيوبه حتى يوقظه الواقع على الحقيقة.

العبرة :

ليس كل طيبٍ ساذجًا ، ولا كل ماكرٍ ذكيًا. فالاحترام يُكتسب بالصدق والعمل ، أما الخداع والغرور فلا يحصدان في النهاية إلا الخيبة والندم.

الثعلب و الجمل

ركبتان لا تتشابهان

كان النهر في ذلك الصباح يشبه سؤالاً قديماً تركته السماء على الأرض ومضت. مياهه ساكنة في ظاهرها، لكنها كانت تخفي في أعماقها تيارات لا تراها العين إلا بعد فوات الأوان. وعلى الضفة القريبة، وقف ثعلب نحيل، يراقب صفحة الماء بعينين قلقتين، كأنهما تبحثان عن إجابة لا عن طريق.

لم يكن الثعلب يخاف النهر وحده ، بل كان يخاف ما وراء النهر أيضاً ؛ تلك المروج الخضراء التي تلوح في البعيد كحلم بعيد المنال ، وذلك الشعور المرهق بأن الفرص الجميلة دائماً تقف على الضفة الأخرى.

تمتم في نفسه :

كم من مرة وقفت أمام الأشياء الجميلة كما أقف الآن ؟ أراها، أشتهيها، ثم أعود أدراجي لأن بيني وبينها نهراً من التردد .

رفع رأسه فرأى جملاً شامخاً يقف على الضفة المقابلة ، ثابتاً كأنه قطعة من الأرض نفسها. كانت الريح تمر بجانبه فلا تحرك فيه إلا شيئاً من الوقار ، بينما بدا الثعلب كغصن صغير تتقاذفه الهواجس.

ناداه بصوت حملته الريح فوق الماء :

أيها الجمل ، يا صاحب القامة التي تناطح الأفق ، أخبرني: إلى أين يصل عمق هذا النهر ؟

نظر الجمل إلى الماء نظرة عابرة ، ثم أجاب بهدوء الواثق :

إلى الركبة.

ارتسمت على وجه الثعلب ابتسامة صغيرة.

إلى الركبة فقط ؟

ما أبسط الأمر إذن !

ضحك في سره من خوفه القديم ، وقال مخاطباً نفسه :

كم نحن سجناء أوهامنا ! كنت أظن النهر بحراً، فإذا به لا يبلغ الركبة .

لكنه لم يسأل :

ركبة من ؟

ولم يخطر بباله أن الكلمات ، مثل الثياب ، قد تتسع لشخص وتضيق على آخر.

تراجع خطوات قليلة ، ثم اندفع نحو الماء بقفزة واحدة، كأنما أراد أن يهزم خوفه دفعة واحدة.

وفي اللحظة التالية ، اختفى نصف جسده تحت السطح البارد.

تجمدت عيناه. ثم اختفى النصف الآخر.

ارتفع الماء حتى غمر كتفيه، ثم اقترب من رأسه.

بدأت الأرض تختفي من تحت قدميه ، وبدأت السماء تبتعد عنه بصورة مخيفة. ضرب الماء بذيله وقوائمه الصغيرة في اضطراب.

صرخ :

النجدة !

لكن النهر لا يسمع الصراخ.

ابتلع الماء صوته، وابتلع معه شيئاً من ثقته القديمة.

راح يحاول أن يرفع رأسه فوق السطح ، يلهث ، ويقاوم ، ويضرب الماء بجنون.

في تلك اللحظات القصيرة ، مرت في عقله أفكار كثيرة لا تمر عادة إلا في الأوقات التي يقترب فيها المرء من خسارة شيء عزيز.

كيف صدقت بهذه السرعة ؟ ولماذا سلمت عقلي لكلمات لم أختبرها ؟ هل كنت أبحث عن الحقيقة ، أم كنت أبحث عن إجابة مريحة فقط ؟

رأى صخرة صغيرة تبرز من الماء، فاندفع نحوها بما بقي لديه من قوة، حتى استطاع أن يتشبث بها ويقف فوقها وهو يلهث كمن خرج لتوه من معركة مع الغرق. ظل للحظات طويلة يحاول استعادة أنفاسه. كان الماء يتساقط من فرائه قطرة قطرة، وكأن النهر يعيد إليه أجزاءً من نفسه التي كادت تضيع.

رفع رأسه نحو الجمل، وصرخ بغضب امتزج بالخوف والارتباك :

ألم تقل إن الماء يصل إلى الركبة ؟

نظر الجمل إليه في دهشة بريئة ، ثم قال :

بلى، قلت ذلك.

إذاً لماذا كدت أغرق ؟

اقترب الجمل قليلاً من حافة الضفة، ثم أجاب بصوت هادئ :

لأن الماء يصل إلى ركبتي أنا، لا إلى ركبتك أنت.

ساد الصمت.

حتى الريح بدت وكأنها توقفت لحظة لتسمع الجملة وهي تستقر في قلب الثعلب.

أما الثعلب، فبقي ينظر إلى الجمل دون أن يجد ما يقوله. كانت الحقيقة بسيطة إلى حد القسوة. ركبتان لا تتشابهان. و ما يبدو ضحلاً لعملاق، قد يكون هاوية لصغير.

خفض رأسه قليلاً.

لم يكن غاضباً من الجمل بقدر ما كان غاضباً من نفسه.

قال بصوت منخفض :

كان يجب أن أسأل أكثر.

أجاب الجمل :

وكان يجب عليّ أن أجيب أكثر.

نظر كل منهما إلى الآخر، واكتشفا معاً أن سوء الفهم لا يولد دائماً من الكذب، بل كثيراً ما يولد من نصف الحقيقة.

قال الثعلب :

ظننت أنك تتحدث عن الجميع.

ابتسم الجمل ابتسامة خفيفة و قال :

وكل واحد منا يظن أن العالم يقاس بمقاسه هو.

صمت قليلاً ثم أضاف :

حين يجوع الجمل يظن أن الجميع يستطيعون احتمال الجوع مثله، وحين يتعب الطائر يظن أن المشي صعب على الجميع لأنه لا يعرف السير طويلاً، وحين يخاف الثعلب من النهر يظن أن كل الكائنات تخشاه.

تأمل الثعلب كلامه طويلاً. كان يشعر أن شيئاً داخله يتغير ببطء. شيء أكبر من مجرد حادثة في نهر. شيء يتعلق بالحياة كلها.

جلس فوق الصخرة وأخذ يحدث نفسه :

كم مرة استعرت أحذية الآخرين لأمشي بها في طريقي ؟ كم مرة سألت إنساناً عن عمل، أو سفر ، أو زواج ، أو تجارة ، ثم أخذت إجابته كأنها قانون مكتوب للناس جميعاً ؟ وكم مرة ظننت أن نجاح أحدهم يعني أن الطريق نفسه يناسبني أنا أيضاً ؟

بدأت صور كثيرة تمر أمامه.

تذكر الأرنب الذي نصحه يوماً أن يسكن الجحور الضيقة لأنها آمنة ، ناسياً أن جسد الأرنب الصغير ليس كجسد الثعلب.

وتذكر السنجاب الذي حدثه بحماس عن حياة الأشجار العالية ، ناسياً أن للثعلب أقداماً خُلقت للأرض لا للأغصان.

وتذكر الذئب الذي كان يرى الوحدة قوة ، بينما كان الثعلب يعرف في أعماقه أنه يذبل بعيداً عن الجماعة.

قال في نفسه :

كل نصيحة تحمل في داخلها سيرة صاحبها. كل إنسان يقدم لك قطعة من حياته على أنها خريطة للحياة كلها. لكن الطرق التي أوصلت الآخرين إلى بر الأمان قد تقودني أنا إلى الغرق.

رفع رأسه نحو الجمل وسأله :

إذاً، هل نتوقف عن استشارة الآخرين ؟

ابتسم الجمل وهز رأسه :

لا.

ثم أضاف :

لكننا نتعلم كيف نصغي.

ماذا تقصد ؟

قال الجمل :

حين يسرد لك أحدهم تجربته ، لا تسأل فقط: ماذا فعل ؟ بل اسأل أيضاً : من هو ؟ وما ظروفه ؟ وما الذي كان يملكه ولم أملكه أنا ؟

سكت قليلاً ثم تابع :

الحكمة ليست في جمع الإجابات، بل في معرفة أي الإجابات خُلقت لك أنت.

ظل الثعلب صامتاً. كانت الكلمات تنزل في نفسه ببطء كالمطر حين يتسلل إلى الأرض العطشى.

قال الجمل :

هناك فرق بين من يعطيك تجربة، ومن يعطيك علماً.

رفع الثعلب أذنيه باهتمام.

فأردف الجمل :

التجربة ابنة أصحابها، أما العلم فابن الحقيقة.

ثم أشار إلى السماء قائلاً :

لذلك يستخير العاقل ربه أولاً، لأنه وحده يعلم ما تخفيه الطرق خلف المنعطفات.

وأشار إلى الأرض قائلاً :

ثم يستشير أهل العلم والخبرة، لأنهم يرون ما قد تغفله عيناه.

ثم نظر إلى النهر وأضاف :

وبعد ذلك يتأنى ، فبعض القرارات لا تحتاج إلى سرعة بقدر ما تحتاج إلى بصيرة.

كانت الشمس تميل نحو الغروب. وصار لون الماء يميل إلى الذهب. نظر الثعلب إلى النهر من جديد. لم يعد يراه عدواً كما رآه في الصباح. بل صار يراه معلماً قاسياً، لكنه صادق.

قال بهدوء :

اليوم لم أكد أغرق في الماء فقط.

نظر إليه الجمل مستفهماً.

فأكمل :

كدت أغرق في الثقة العمياء.

ابتسم الجمل.

أما الثعلب فقد نزل عن الصخرة بحذر ، واختار طريقاً أطول قليلاً، لكنه أكثر أمناً لعبور النهر.

وأثناء سيره كان يحدث نفسه :

ليس كل ما نجح مع غيري يصلح لي. وليس كل من سبقني يعرف الطريق الذي يناسب قدمي. قد أستعير من الناس مصابيحهم، لكن عليّ أن أمشي بنور بصيرتي أنا.

وحين وصل إلى الضفة الأخرى، التفت نحو النهر للمرة الأخيرة.

كان الماء يجري كما كان دائماً، لا يغير عمقه من أجل أحد، ولا يعتذر لأحد.

فابتسم وقال :

المشكلة لم تكن في النهر.

ثم رفع عينيه إلى الأفق وأردف :

المشكلة أنني نسيت أن الركب تختلف.

ومضى في طريقه أكثر هدوءاً مما كان ، وأكثر حذراً ، وأكثر فهماً لتلك الحقيقة التي لا يتعلمها المرء إلا بعد أن يبتل قليلاً :

استخر الله أولاً ، ثم استشر أهل العلم والخبرة، ثم تمهل في اتخاذ القرار. فما ندم من استخار، وما خاب من استشار، وما نجا من العجلة إلا من عرف أن مقاسات الحياة لا تأتي على قياس واحد للجميع.

الثعلب همّام والعنزة
الثمن الخفي للعطش

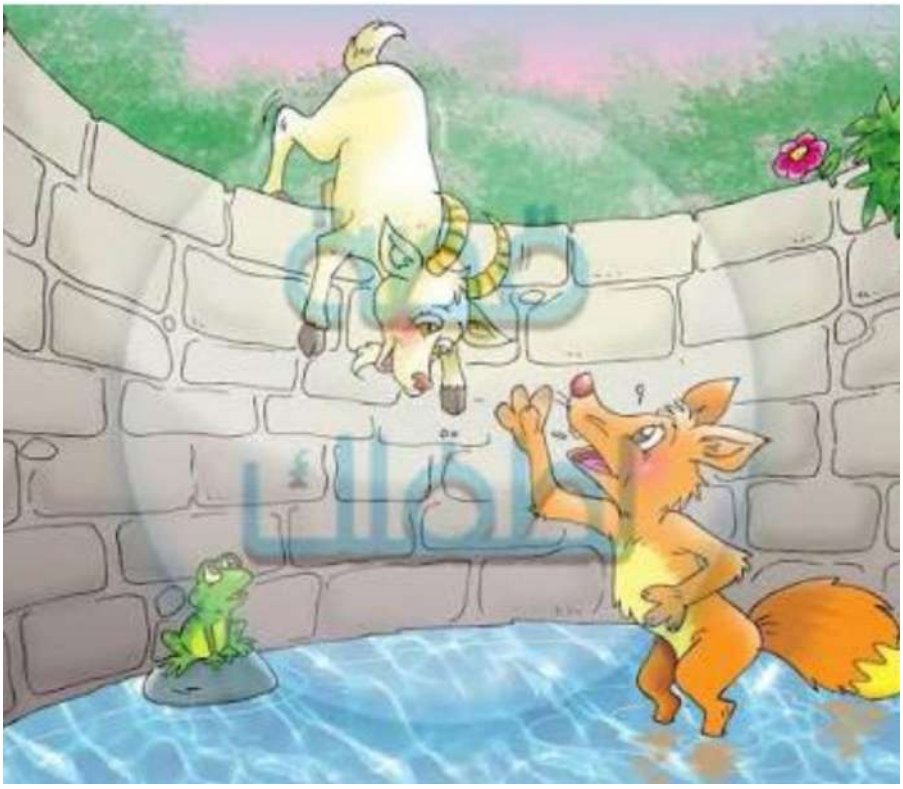

كانت الغابة في ذلك الصباح تبدو كأنها تستيقظ على مهل، تفتح عينيها الخضراوين على ضوء شاحب يتسلل بين الأغصان، بينما كانت الريح تمر خفيفة كأنها تمشط شعر الأشجار الطويل.

وفي مكان بعيد، كان الثعلب همّام يشق طريقه بين الأعشاب اليابسة بخطوات متثاقلة.

كان عطشانًا. ليس ذلك العطش الذي يزور الحلق ساعة ثم يرحل، بل ذلك العطش الذي يتحول مع الوقت إلى فكرة واحدة تبتلع كل الأفكار الأخرى. جفّ ريقه، وثقلت أطرافه، وبدأ يشعر أن العالم كله قد تقلص حتى صار قطرة ماء بعيدة يركض نحوها.

تمتم وهو يلهث :

كيف يمكن لغابة بهذا الاتساع أن تبخل بكفّ من الماء ؟

رفع رأسه نحو السماء فلم تجبه إلا الشمس التي كانت تزداد حرارة.

واصل السير. خطوة أخرى. ثم أخرى. حتى لمح فجأة حجارة قديمة تحيط بفوهة بئر مهجورة.

توقفت أنفاسه للحظة. اقترب بحذر، ثم انحنى ونظر إلى الداخل.

كانت المياه تلمع في القاع كقطعة من السماء سقطت هناك منذ زمن بعيد.

قفز قلبه فرحًا. ضحك وحده.

دار حول البئر مرة، ثم مرتين، ثم أخذ يقفز في الهواء كصغير وجد لعبته الضائعة.

قال بصوت مرتجف من السعادة :

نجوت... أخيرًا نجوت !

لكن الفرح أحيانًا يسرق من المرء انتباهه. وفي قفزة أعلى من سابقاتها، انزلقت قدماه فجأة. صرخة قصيرة شقت الهواء.

ثم... ارتطم جسده بجدار البئر الحجري قبل أن يستقر في القاع قرب الماء.

ساد الصمت.

رفع همّام رأسه ببطء. نظر إلى الأعلى. كانت فتحة البئر تبدو بعيدة جدًا. بعيدة على نحو لم يتوقعه.

حاول أن يضحك من الموقف.

قال لنفسه :

لا بأس... سأشرب أولًا، ثم أفكر.

شرب.

وشرب. وشرب حتى شعر أن الماء قد عاد يجري في عروقه بدل الدم. عندها وقف. ثبت قدميه. قفز. فشل. حاول مرة أخرى. ثم ثالثة. ثم عاشرة. وفي كل مرة كان يسقط إلى المكان نفسه، بينما تبدو الحافة أبعد مما كانت.

جلس أخيرًا.

كانت أنفاسه حادة. وقلبه يخفق بعنف.

لأول مرة منذ سنوات، شعر بالخوف الحقيقي.

قال في داخله :

كيف لم أفكر في الخروج قبل النزول ؟

ثم أجاب نفسه بمرارة :

لأن العطش لا يترك مكانًا للتفكير.

رفع عينيه نحو الدائرة الصغيرة من السماء فوقه. كانت جميلة. وجميلة إلى حد الإيلام. فالجمال الذي لا يمكن الوصول إليه يتحول أحيانًا إلى نوع من العذاب.

صرخ :

هل من أحد هنا ؟

عاد صوته إليه من جدران البئر : ... أحد هنا... هنا...

صرخ مرة أخرى ، ومرة ثالثة.

وبينما كان اليأس يبدأ بالتسلل إلى قلبه، لمح ظلًا يقترب من فوهة البئر. ظهر وجه ماعز صغيرة ذات عينين هادئتين. كانت تُدعى سلمى.

كانت طيبة إلى درجة أن حيوانات الغابة كانت تقول إن قلبها أكبر من جسدها.

نظرت إلى الداخل بدهشة.

و قالت :

همّام ؟ ماذا تفعل هناك ؟

حاول أن يبدو هادئًا.

أستريح قليلًا.

رمشت الماعز باستغراب.

في بئر ؟

ابتسم ابتسامة صغيرة و قال :

أحيانًا تكون الأماكن الغريبة أكثر راحة من الأماكن المألوفة.

لم تقتنع. لكنها كانت عطشى أيضًا.

سألت :

و هل يوجد ماء ؟

نظر همّام إلى سطح الماء. ثم إلى الحافة المرتفعة. ثم عاد ينظر إليها. وفي تلك اللحظة بدأت فكرة باردة تتشكل داخل رأسه. فكرة تشبه الظل. وتشبه النجاة.

قال بنبرة هادئة :

ليس ماءً فقط ، بل ماء بارد وعذب لم أذق مثله في حياتي.

اتسعت عينا سلمى.

حقًا ؟

أقسم لك.

اقتربت أكثر من الحافة.

لكن كيف أصل إليه ؟

رفع رأسه نحوها و قال :

الماء في القاع ، ولن تتمكني من شربه إلا إذا نزلت.

ترددت للحظة.

قالت :

وماذا عن الخروج ؟

ساد الصمت. ثانية واحدة فقط. لكنها كانت كافية ليشعر همّام بثقل السؤال. إلا أن خوفه من البقاء هنا كان أكبر من أي شيء آخر.

فقال سريعًا :

سنفكر في ذلك معًا.

ابتسمت سلمى بثقة بريئة. الثقة التي تمنحها الأرواح الطيبة بسهولة.

و قالت :

حسنًا.

وقفزت. وصلت إلى القاع بسلام. ركضت نحو الماء وشربت بشغف. كانت تشعر أن الحياة عادت إليها.

أما همّام فكان ينظر إليها بصمت. ثم نظر إلى ظهرها. ثم إلى الحافة المرتفعة. وكان الصراع يدور داخله كعاصفة.

صوت يقول :

لا تفعل.

وصوت آخر يهمس :

إن لم تفعل، ستبقى هنا.

قال لنفسه :

أنا لا أسرق حياتها... أنا فقط أنقذ حياتي.

اقترب منها. ثم قفز فوق ظهرها بسرعة. ومن فوق كتفيها دفع نفسه بقوة نحو الحافة. تشبث بالحجارة. وتسلق. ثم خرج أخيرًا إلى ضوء النهار. وقف يلهث. يشعر بالهواء يملأ صدره . ويشعر بالأرض تحت قدميه. للحظة قصيرة فقط شعر بالانتصار.

لكن صوتًا من الأسفل قطعه :

همّام !

اقترب من الحافة ونظر إليها.
كانت سلمى تبتسم.
قالت :
الآن بعد أن ارتويت، ساعدني على الخروج كما ساعدتك.
لم يجب.
أعادت الكلام :
أنت في الأعلى الآن ، وستجد طريقة بسهولة.
خفض نظره قليلًا.
قال :
لا أملك وقتًا.
تجمدت ابتسامتها.
ماذا ؟
لدي أمور كثيرة يجب أن أفعلها.
سكتت لحظة. ثم قالت بهدوء موجع :
لكنني ساعدتك.
أدار وجهه بعيدًا.
لم أطلب منك ذلك.
كانت الكلمات أشد قسوة من الحجارة نفسها.
حدقت فيه طويلًا.
ثم سألت :
هل كنت تخطط لهذا منذ البداية ؟
لم يجب. وكان صمته هو الجواب.
استدار وبدأ يمشي.
لكن صوتها أوقفه :
همّام.

توقف دون أن يلتفت.

قالت :

أتعلم ما الفرق بيني وبينك ؟

ظل صامتًا.

قالت :

أنا سأخرج من هذا البئر يومًا ما... أما أنت فستبقى في البئر الذي تحمله داخلك.

ارتجفت أذناه. لكنه تابع السير.

كانت كلماتها تسير خلفه كظل طويل.

مرّت الساعات.

ثم بدأت الشمس تميل نحو الغروب.

جلست سلمى في قاع البئر تنظر إلى السماء الصغيرة فوقها.

لم تكن خائفة بقدر ما كانت حزينة.

قالت في سرها :

كيف يمكن للقلب أن يكون طيبًا إلى هذا الحد، ثم يُعاقب لأنه صدّق ؟

ثم أجابت نفسها :

لأن الطيبة ليست خطأ... الخطأ أن تكون الطيبة عمياء.

رفعت رأسها من جديد. كانت النجوم تبدأ بالظهور. وشعرت للمرة الأولى أن السماء قريبة جدًا.

كأن البئر جعلها ترى الأشياء التي لم تكن تراها خارجها.

في تلك الأثناء، كانت بومة عجوز تحلق فوق المكان. سمعت صوتها الخافت. اقتربت من الحافة. ونظرت إلى الداخل.

سلمى ؟

رفعت الماعز رأسها بسرعة.

أيتها الحكيمة ، ساعديني.

فكرت البومة قليلًا. ثم طارت بعيدًا. بعد وقت قصير عادت ومعها غزال قوي وحمار بري وعدد من الحيوانات.

ألقوا غصنًا طويلًا إلى الداخل. تشبثت به سلمى. وسحبوها ببطء حتى خرجت أخيرًا إلى سطح الأرض.

وقفت بصمت. ثم تنفست بعمق. كان الهواء مختلفًا. والسماء أوسع. والأرض أكثر دفئًا.

سألتها البومة :

هل ستبحثين عن الثعلب لتنتقمي منه ؟

فكرت طويلًا. ثم هزت رأسها.

لا.

لماذا ؟

ابتسمت بحزن هادئ.

و قالت :

لأنني لا أريد أن أصبح مثله كي أعاقبه على ما هو عليه.

نظرت إليها البومة بإعجاب.

و قالت :

لقد خرجتِ من البئر حقًا.

أما همّام، فكان يسير وحيدًا بين الأشجار. كان حرًا. لكنه لم يشعر بالحرية.

كلما شرب من جدول تذكر الماء في البئر. وكلما رأى وجهًا طيبًا تذكر عيني سلمى.

كانت كلماتها تعود إليه كل ليلة :

ستبقى في البئر الذي تحمله داخلك.

وبدأ يدرك شيئًا لم يفهمه من قبل. بعض الآبار ليست من حجر.

بعضها يُبنى من الخوف. ومن الأنانية. ومن القرارات التي ننقذ بها أجسادنا ونفقد بها أرواحنا.

رفع رأسه نحو السماء ذات مساء.

و قال بصوت خافت :

ربما خرجت من البئر يومها...

ثم سكت قليلًا وأكمل :

لكن جزءًا مني ما زال هناك.

ومنذ ذلك اليوم، صارت حيوانات الغابة تروي الحكاية لصغارها:

ليس كل مستغيث بريئًا. وليس كل طيب ساذجًا. فالمساعدة فضيلة، لكن الحكمة رفيقتها. والثقة نور جميل، غير أنها تحتاج دائمًا إلى عينٍ ترى الطريق قبل أن تخطو إليه. أما الخداع، فقد يمنح صاحبه بابًا للخروج من مأزقٍ عابر، لكنه يفتح في داخله أبوابًا أخرى يصعب إغلاقها. لأن الإنسان قد ينجو من حفرة في الأرض... لكنه لا ينجو بسهولة من الحفرة التي يحفرها في قلبه.

الثعلب همام والعنب

حين نصنع الأعذار بدل أن نصنع السلالم

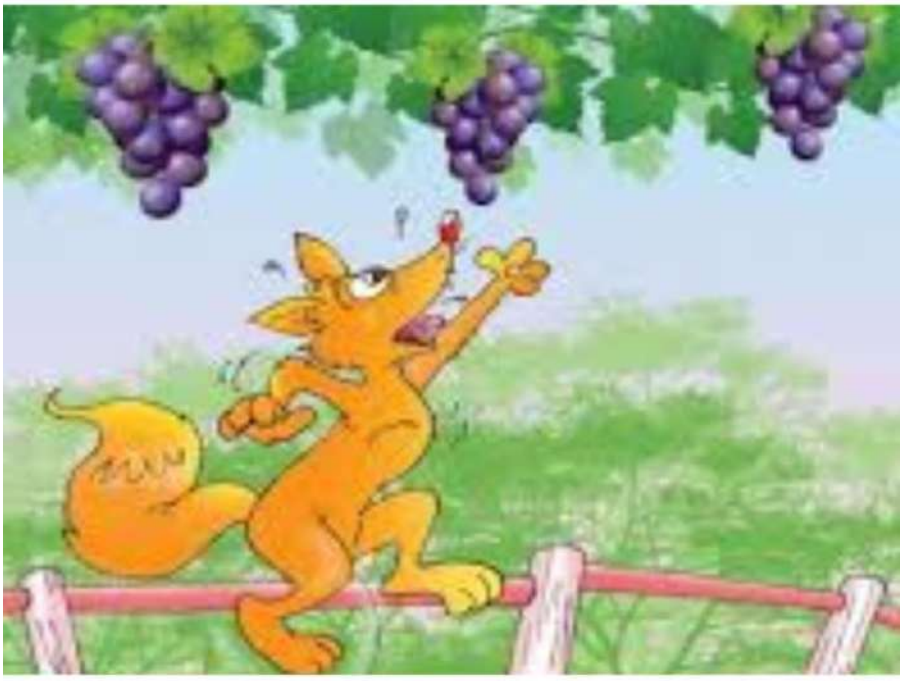

في صباحٍ ربيعيٍّ هادئ، كانت الغابة تستيقظ على أصوات العصافير وهي تنثر ألحانها بين الأغصان، وكانت أشعة الشمس الذهبية تتسلل برفقٍ بين أوراق الأشجار، فتلوّن الأرض ببقعٍ من الضوء والدفء.

وفي أحد الممرات الضيقة التي تتشابك على جانبيها الأعشاب البرية، كان ثعلبٌ صغير يُدعى همام يسير بخطواتٍ متعبة. لم يكن ثعلبًا شريرًا كما كانت تروي بعض الحكايات القديمة، بل كان سريع الذكاء، واسع الخيال، لكنه كان يمتلك عادةً سيئةً كثيرًا ما توقعه في المشكلات؛ فقد كان يحب الوصول إلى الأشياء بسهولة، ويضيق صدره عندما تتطلب الأمور صبرًا أو جهدًا طويلًا.

كان الجوع يطرق معدته منذ الصباح الباكر، وقد أمضى ساعاتٍ طويلةً يبحث عن طعامٍ يسد به رمقه، لكن الحظ لم يكن إلى جانبه في ذلك اليوم.

توقف قليلًا تحت ظل شجرة كبيرة، ثم قال لنفسه :

ما أطول هذا اليوم! كأن الغابة قررت أن تخفي الطعام عني.

رفع رأسه نحو السماء، وكأنه ينتظر جوابًا من الغيوم، ثم عاد إلى السير من جديد.

وبينما كان يتجول بين الأشجار، لمح شيئًا يلمع تحت أشعة الشمس، فتوقفت قدماه فجأة، واتسعت عيناه دهشةً وفرحًا.

هناك، في نهاية الممر، كانت تقف شجرة عنبٍ عالية، تتدلى منها عناقيد كبيرة بلونٍ بنفسجيٍّ براق، كأنها مصابيح صغيرة معلقة في الهواء.

اقترب الثعلب ببطء، وحدق في العناقيد بإعجاب.

قال وهو يبتسم :

يا لها من هدية رائعة ! يبدو أن هذا اليوم لم يكن سيئًا كما ظننت.

كانت حبات العنب ممتلئةً وناضجة، تتلألأ قطرات الندى فوقها كاللؤلؤ الصغير، وتحركها نسمات الصباح فتبدو وكأنها تدعوه إليها.

قفز الثعلب قفزةً عالية. لكن العنب بقي بعيدًا.

ابتسم و قال بثقة :

لا بأس، كانت مجرد محاولة أولى.

ابتعد خطواتٍ قليلة ، ثم ركض وقفز بقوة أكبر. إلا أن العناقيد ظلت بعيدةً عن متناول يديه.

وقف يلهث قليلًا، ثم أعاد المحاولة مرةً ثالثة ورابعة وخامسة. وفي كل مرة كان يسقط على الأرض بينما يبقى العنب معلقًا في مكانه، هادئًا، لا يتحرك إلا مع الريح.

بدأ التعب يتسلل إلى جسده، وبدأ الغضب يتسلل إلى قلبه.

نظر إلى الشجرة وقال بضيق :

لماذا أنتِ طويلة إلى هذا الحد ؟

ثم نظر إلى الأغصان وقال :

ولماذا تتدلى العناقيد في الأعلى ؟

وبعد دقائق من الصمت، جلس تحت الشجرة وهو يلتقط أنفاسه.

في تلك اللحظة مرت سلحفاة عجوز كانت معروفة بين حيوانات الغابة بالحكمة وطول التجربة.

توقفت السلحفاة وسألته بلطف :

ما الذي يجعلك حزينًا يا همام ؟

أجاب الثعلب :

العنب بعيد جدًا، والشجرة طويلة جدًا، والحظ سيئ جدًا.

ابتسمت السلحفاة و قالت :

وهل المشكلة في الشجرة حقًا ؟

استغرب الثعلب السؤال وقال :

بالطبع ! لو كانت أقصر قليلًا لحصلت على الطعام.

جلست السلحفاة بالقرب منه و قالت :

ربما تكون الشجرة كما هي، لكن السؤال الحقيقي هو : هل فكرت بطريقةٍ أخرى للوصول إلى ما تريد ؟

سكت الثعلب قليلًا.

لم يكن يحب هذا النوع من الأسئلة، لأنها تجبره على التفكير في نفسه بدل التفكير في الظروف.

قال مترددًا :

قفزت كثيرًا، وهذا يكفي.

أجابت السلحفاة :

القفز طريقة واحدة فقط، والحياة مليئة بالطرق الأخرى.

ثم أشارت إلى بعض الحجارة الصغيرة المنتشرة حول المكان وقالت :

ماذا لو جمعت الحجارة وصنعت منها منصةً تقف فوقها ؟

فكر الثعلب قليلًا، لكنه شعر بالكسل.

قال بسرعة :

سيأخذ ذلك وقتًا طويلًا.

ابتسمت السلحفاة من جديد :

والنجاح أحيانًا يحتاج إلى وقتٍ طويل.

ثم أشارت إلى جذع شجرةٍ قريب وقالت :

أو ربما يمكنك دفع ذلك الجذع بالقرب من الشجرة والصعود فوقه.

هز الثعلب رأسه و قال :

هذا متعب.

قالت السلحفاة :

وأغلب الأشياء الجميلة تحتاج إلى بعض التعب.

ساد الصمت بينهما للحظات.

لكن الثعلب لم يكن مستعدًا لبذل جهدٍ إضافي.

وقف فجأة ونفض الغبار عن فرائه وقال بصوتٍ مرتفع :

في الحقيقة ، لا أظن أنني أريد هذا العنب أصلًا.

نظرت إليه السلحفاة بهدوء.

أكمل كلامه :

أعتقد أنه غير ناضج، وربما يكون حامضًا أيضًا، ومن الأفضل ألا آكله.

ثم استدار مبتعدًا وهو يحاول أن يبدو غير مهتم.

راقبته السلحفاة وهو يبتعد ، ثم قالت بصوتٍ هادئ وصل إلى أذنيه رغم المسافة :

أحيانًا يا همام ، لا نهرب من الفشل ، بل نهرب من الاعتراف به.

توقف الثعلب للحظة ، لكنه لم يلتفت خلفه ، وأكمل طريقه.

مرت الأيام.

وفي أحد الصباحات ، كان الثعلب يمر بالقرب من بيوت البشر عند أطراف الغابة، فشاهد طفلًا صغيرًا يجلس أمام دراجته الجديدة ويحاول تعلم ركوبها.

كان الطفل يسقط مرة ، ثم ينهض مرة أخرى. يسقط مرة ثانية ، ثم يبتسم ويعيد المحاولة.

راقبه الثعلب باستغراب.

قال في نفسه :

لماذا لا يستسلم ؟

وبعد قليل، تمكن الطفل من السير بالدراجة عدة أمتار، فصفق والده فرحًا و قال :

أحسنت يا بني، النجاح لا يأتي من المحاولة الأولى.

ظل الثعلب ينظر إليه طويلًا.

ثم تذكر العنب. وتذكر السلحفاة. وتذكر كلمتها الأخيرة.

شعر بشيءٍ يتحرك داخله.

قال لنفسه :

ربما كنت أنا المشكلة، لا الشجرة.

عاد في اليوم التالي إلى مكان العنب.

كانت العناقيد لا تزال هناك. نظر إليها هذه المرة بعينٍ مختلفة. لم يعد غاضبًا منها. ولم يعد يتهمها بالعلو.

بل سأل نفسه :

كيف أصل إليها ؟

بدأ يجمع الحجارة الصغيرة.

كان العمل بطيئًا ومتعبًا.

وفي كل مرة يسقط فيها حجر كان يعيده إلى مكانه. مرت ساعات طويلة وهو يعمل بصبر. ثم وقف فوق الحجارة وقفز.

اقترب من العنب أكثر من المرة السابقة، لكنه لم يصل إليه بعد.

شعر بالإحباط للحظة. لكن صورة الطفل الذي تعلم ركوب الدراجة عادت إلى ذاكرته.

فقال :

السقوط ليس النهاية.

جمع بعض الأغصان اليابسة، ووضعها فوق الحجارة، ثم حاول مرةً أخرى.

وفي هذه المرة لامست أصابعه إحدى الحبات. اتسعت عيناه فرحًا. لقد اقترب. وهذا يعني أنه قادر على الوصول. واصل العمل حتى صنع منصةً أعلى قليلًا. وقف فوقها، ثم قفز بكل ما يملك من قوة.

وفجأة... أمسك بأحد عناقيد العنب.

وقف للحظة غير مصدق.

ثم ضحك من قلبه ضحكةً كبيرة ملأت المكان.

لم يكن فرحه بسبب العنب وحده. بل لأنه اكتشف شيئًا أهم بكثير. اكتشف أنه كان يستطيع الوصول منذ البداية، لكنه لم يكن يريد دفع ثمن المحاولة.

جلس تحت الشجرة يأكل العنب بهدوء.

وكان طعمه لذيذًا وحلوًا كما توقع أول مرة.

ابتسم و قال :

إذن لم يكن العنب حامضًا.

وفي تلك اللحظة ظهرت السلحفاة من بعيد.

اقتربت منه وسألته مبتسمة :

كيف وجدت طعم العنب ؟

ضحك الثعلب و قال :

لذيذ جدًا.

ثم أضاف بخجل :

والأجمل منه أنني وجدت نفسي وأنا أبحث عنه.

جلست السلحفاة بجانبه و قالت :

هذه هي أجمل الاكتشافات.

رفع الثعلب رأسه نحو العناقيد المتبقية و قال :

لقد تعلمت اليوم أن المشكلة ليست دائمًا في الظروف.

أومأت السلحفاة برأسها.

فأكمل :

وأحيانًا نختبئ خلف الأعذار لأن الاعتراف بالتقصير أصعب من اختراع المبررات.

قالت السلحفاة :

ومن يعترف بضعفه يستطيع أن يصبح أقوى، أما من يلوم العالم كله فلن يتغير شيء في حياته.

ظل الثعلب صامتًا يفكر في كلماتها.

ثم قال :

أظن أن كثيرًا من البشر يفعلون ما فعلته أنا.

ابتسمت السلحفاة و قالت :

نعم، فهناك من يرسب في دراسته فيقول إن الأسئلة كانت صعبة، بينما لا يعترف بأنه لم يذاكر جيدًا.

وأضافت :

وهناك من يفشل في عمله فيتهم الظروف أو الآخرين، وينسى أن النجاح يحتاج إلى تعلم وصبر وتطوير مستمر.

ثم تابعت :

وهناك من يحلم بأهدافٍ كبيرة لكنه لا يبدأ الخطوة الأولى، لأنه يخاف التعب أكثر مما يحب النجاح.

نظر الثعلب إلى العنب مرةً أخرى و قال :

إذن الأعذار تشبه الجدران، تجعلنا نشعر بالأمان لكنها تمنعنا من الوصول.

ابتسمت السلحفاة و قالت :

أما الجهد فهو يشبه السلالم، قد يكون متعبًا، لكنه يأخذنا إلى الأعلى.

حل المساء ، وبدأت الشمس تختبئ خلف الجبال البعيدة.

وقف الثعلب يستعد للعودة إلى منزله. لكن خطواته هذه المرة كانت مختلفة. لم تكن خطوات ثعلبٍ جائع يبحث عن الطعام. بل خطوات ثعلبٍ تعلم درسًا سيبقى معه طوال حياته.

كان يعرف الآن أن الطريق إلى الأحلام ليس مغلقًا كما يبدو أحيانًا، وأن بعض الأبواب لا تفتح بالمفاتيح، بل بالصبر والمحاولة والشجاعة.

ومع آخر خيطٍ من ضوء الشمس ، اختفى الثعلب بين الأشجار وهو يردد في نفسه :

إذا كان الهدف بعيدًا، فلا أصفه بالمستحيل، بل أبحث عن سلمٍ جديد .

الثعلب همام والزرافة وعناقيد العنب

في صباحٍ هادئٍ من صباحات الغابة، كانت أشعة الشمس تتسلل بين أغصان الأشجار كخيوطٍ ذهبية ترسم على الأرض لوحاتٍ من الضوء والظل، وكانت الطيور تغني ألحانها الرقيقة، بينما تهب نسائم لطيفة تحمل رائحة الأعشاب والزهور البرية.

في ذلك الصباح، كان ثعلبٌ صغير يمشي بين الأشجار بخطواتٍ متعبة، وقد أنهكه الجوع والعطش بعد ساعاتٍ طويلة من البحث عن طعامٍ يسد به جوعه أو ماءٍ يروي ظمأه.

كان ينظر يمينًا ويسارًا، يفتش بين الشجيرات وتحت الصخور، لكن الغابة بدت وكأنها تخبئ خيراتها في ذلك اليوم.

وفجأة، توقفت خطواته، واتسعت عيناه دهشةً وفرحًا.

أمامَه كانت تقف شجرةٌ عالية شامخة، ترتفع نحو السماء بثقةٍ وجمال، وتتدلى من أغصانها عناقيد عنبٍ كبيرة، تتلون بحباتٍ حمراء وبنفسجية لامعة، كأنها مصابيح صغيرة أضاءتها الشمس.

لعق الثعلب شفتيه وقال في نفسه :

يا لها من وليمةٍ رائعة ! سأشبع جوعي وأروي عطشي في الوقت نفسه.

اقترب من الشجرة، ثم رفع رأسه طويلًا، لكن العناقيد كانت بعيدة جدًا عن متناول يديه.

فكر قليلًا، ثم ابتعد عدة خطوات إلى الخلف، وانطلق بأقصى سرعة وقفز عاليًا. لكن محاولته فشلت. حاول مرةً ثانية، ثم ثالثة، ثم رابعة. وفي كل مرةٍ كان يسقط على الأرض متعبًا أكثر من السابقة.

جلس الثعلب تحت ظل الشجرة يلهث من التعب، وقال بحزن :

ليس كل ما نتمناه نستطيع الوصول إليه بالقوة وحدها.

ظل يفكر طويلًا، بينما كانت الغابة من حوله تواصل حياتها بهدوء.

وبينما هو غارق في التفكير، لمح من بعيد زرافةً طويلة الرقبة تسير بخطواتٍ هادئة بين الأشجار، وكانت تنظر إلى السماء وكأنها تحيي الغيوم المارة فوقها.

أضاءت فكرةٌ سريعة في رأس الثعلب.

قال مبتسمًا :

هذه هي الفرصة التي كنت أبحث عنها.

اقترب من الزرافة وقال بصوتٍ خافتٍ يحمل كثيرًا من الرجاء :

يا صديقتي الزرافة، لقد أتعبني الجوع كثيرًا ، وهناك عنبٌ مرتفع لا أستطيع الوصول إليه. هل تساعدينني في الحصول على بعضه ؟

نظرت الزرافة إليه بعينين مليئتين بالرحمة و قالت :

مساعدة المحتاج عملٌ جميل ، وسأكون سعيدة بمساعدتك.

مدت الزرافة رقبتها الطويلة بسهولة ، وقطفت عدة عناقيد من العنب وقدمتها للثعلب.

فرح الثعلب كثيرًا ، لكنه ما إن رأى كثرة العنب على الشجرة حتى تسلل الطمع إلى قلبه.

قال في نفسه :

لماذا أكتفي بالقليل وهناك الكثير ؟

فكر قليلًا ، ثم قال للزرافة :

في الحقيقة ، لست أنا وحدي الجائع. هناك حيوانات كثيرة في الغابة تنتظر الطعام، وقد أرهقها التعب والجوع، ولم تعد قادرة على البحث بنفسها.

تأثرت الزرافة بكلامه ، فالغابة بالنسبة لها بيتٌ واحد ، والحيوانات فيه كالأصدقاء والجيران.

قالت بحماس :

إذا كان الأمر كذلك ، فعلينا أن نساعدهم جميعًا.

وبدأت الزرافة تجمع المزيد من عناقيد العنب، حتى صار أمام الثعلب كومةٌ كبيرة من الثمار الشهية.

لكن الثعلب أخذ يخفي بعض العناقيد خلف الصخور وتحت الأعشاب، وهو يبتسم في سرّه قائلًا :

سأحتفظ بهذه لنفسي ، ولن يعرف أحد.

كانت الزرافة تراقبه بهدوء ، ولاحظت نظراته المرتبكة وحركاته السريعة.

قالت في نفسها :

الصدق يترك في القلب راحة ، أما الكذب فيترك خلفه ظلالًا لا تخطئها العيون.

لم تُرِد الزرافة أن تتهمه دون دليل ، لكنها قررت أن تكشف الحقيقة بطريقةٍ تربويةٍ هادئة.

ذهبت إلى الحيوانات التي كانت تجتمع قرب البحيرة ، وقالت لهم :

لديكم صديقٌ جمع لكم طعامًا كثيرًا اليوم.

فرحت الحيوانات ، وذهب الأرنب والقنفذ والغزال والسنجاب وغيرهم نحو مكان الثعلب.

قال الأرنب مبتسمًا :

سمعنا أنك أحضرت لنا طعامًا، نشكرك على اهتمامك بنا.

ارتبك الثعلب وقال بسرعة :

طعام ؟ أي طعام ؟ ليس لدي شيء لكم.

نظر الجميع إلى بعضهم في دهشة ، وفي تلك اللحظة تقدمت الزرافة بهدوء وقالت :

ألم تقل إن الحيوانات جائعة وتنتظر الطعام ؟

ساد الصمت للحظات ، وشعر الثعلب بأن الكلمات التي قالها عادت إليه كأنها مرآة تعكس الحقيقة أمام الجميع.

خفض رأسه خجلًا ، ولم يعرف ماذا يقول.

اقتربت منه الزرافة و قالت بلطف :

يا صديقي ، المساعدة تبني الصداقات ، أما الخداع فيهدمها. والرزق الذي يُقسم بالعدل يصبح أكثر بركة.

نظر الثعلب إلى الحيوانات حوله ، فرأى في عيونهم خيبةً لم يكن يتوقعها.

حينها أدرك أن خسارة ثقة الآخرين أصعب من خسارة أي طعام.

تنهد وقال بصوتٍ منخفض :

لقد أخطأت، وكنت أظن أن الذكاء يعني أن أحصل على كل شيء لنفسي، لكنني اكتشفت أن الذكاء الحقيقي هو أن نحافظ على ثقة من حولنا.

ابتسمت الزرافة و قالت :

الاعتراف بالخطأ بداية الحكمة.

ساعدت الحيوانات الثعلب في إخراج العناقيد التي أخفاها ، ثم جلس الجميع في دائرةٍ كبيرة تحت ظل الشجرة.

قاموا بتقسيم العنب بينهم بالعدل ، فأخذ كل واحدٍ نصيبه، وأعطوا الثعلب نصيبًا مثل بقية الحيوانات.

تعجب الثعلب و قال :

بعد ما فعلته، ما زلتم تعطونني نصيبي ؟

أجاب الغزال مبتسمًا :

العدل لا يتغير بسبب خطأ أحد.

وأضاف السنجاب :

ونحن نؤمن أن من يتعلم من خطئه يستطيع أن يصبح أفضل.

جلس الثعلب يتأمل حبات العنب في يده، وشعر للمرة الأولى أن طعمها مختلف.

لم يكن السبب حلاوة العنب، بل حلاوة الصدق والتعاون والمشاركة.

رفع رأسه إلى السماء و قال :

اليوم تعلمت درسًا لن أنساه أبدًا.

ومنذ ذلك اليوم ، تغير الثعلب كثيرًا.

صار يساعد الحيوانات في جمع الطعام ، ويشاركها ما يجد، وأصبح معروفًا بين سكان الغابة بوفائه بعد أن كان مشهورًا بالمكر والخداع.

أما الزرافة، فقد بقيت مثالًا للحكمة والرحمة وحسن التصرف ، فقد أثبتت أن معالجة الخطأ لا تحتاج دائمًا إلى غضبٍ أو عقاب، بل إلى وعيٍ وعدلٍ وفرصةٍ للتغيير.

وكما تحتاج الأشجار إلى الماء لتنمو، تحتاج المجتمعات إلى الصدق والتعاون والعدل حتى تزدهر.

فنحن في مدارسنا وبيوتنا وأماكن عملنا نعيش الموقف نفسه بأشكالٍ مختلفة؛ فهناك من يحتفظ بالنجاح لنفسه، وهناك من يشارك الآخرين المعرفة والخبرة، وهناك من يختار الصدق حتى عندما يكون الكذب أسهل.

والحياة تعلمنا كل يوم أن ما نجمعه لأنفسنا قد ينفد يومًا، أما ما نشاركه مع الآخرين فيبقى أثره طويلًا في القلوب.

وهكذا انتهى ذلك اليوم في الغابة، بينما كانت الشمس تغيب ببطء خلف الأشجار، وتلون السماء بألوانٍ برتقالية جميلة، وكأنها تكتب على صفحة الأفق رسالةً صغيرة تقول :

قد يمنحنا الذكاء طرقًا للوصول إلى ما نريد، لكن الأخلاق هي التي تحدد قيمة ما نصل إليه.

الثعلب والحمار الوحشي ولون البرسيم

في صباحٍ صيفيّ هادئ، كانت الشمس تفتح عينيها ببطء فوق الغابة الكبيرة، وترسل خيوطها الذهبية بين الأغصان والأوراق. كانت الطيور تغني، والنسيم يداعب الأعشاب، وكأن الغابة كلها تعزف لحنًا واحدًا اسمه السلام.

وفي طرفٍ قريب من النهر الصغير، كان يعيش حمارٌ وحشيّ مخطط، يحب الجلوس طويلًا بين الحقول الخضراء. كان يقضي نهاره تحت الشمس الدافئة، ويأكل من البرسيم الطري، ثم يرفع رأسه إلى السماء مبتسمًا وكأنه يملك الدنيا كلها.

لكن الحمار الوحشي كان يملك صفةً أزعجت كثيرًا من الحيوانات. كان يرفض أن يغيّر رأيه. إذا قال كلمة، تمسك بها كما تتمسك الشجرة بجذورها. لا يسمع نصيحة، ولا يقبل نقاشًا، حتى لو كانت الحقيقة تقف أمام عينيه.

أما الثعلب، فكان مختلفًا تمامًا. كان نشيطًا، كثير الحركة، سريع الملاحظة، يحب العمل والتعلم، ويؤمن أن الإنسان والحيوان يكبران كل يوم حين يعترفان بخطئهما ويتعلمان شيئًا جديدًا.

وكان يقول دائمًا :

العقل مثل الحديقة، إن لم نسقه بالمعرفة جفّت أزهاره.

وفي ذلك الصباح ، كان الحمار الوحشي مستلقيًا بين نباتات البرسيم ، ينظر إلى الحقل الواسع ويغني بصوت مرتفع :

يا أيها البرسيم الأصفر الجميل، يا شبيه الشمس حين تضحك للغابة.

مرّ الثعلب بالقرب منه، فتوقف فجأة. نظر إلى الحقل. ثم نظر إلى الحمار الوحشي متعجبًا.

وقال بلطف :

أصفر ؟ لكن البرسيم أخضر يا صديقي.

رفع الحمار الوحشي رأسه بسرعة و قال بثقة :

لا ، إنه أصفر.

ابتسم الثعلب و قال :

ربما تقصد أزهاره الصغيرة، أما أوراقه فهي خضراء.

هز الحمار الوحشي رأسه بعناد.

بل كله أصفر.

اقترب الثعلب أكثر و قال :

انظر جيدًا. إنه أمامك. الأشجار خضراء ، والعشب أخضر ، والبرسيم أخضر أيضًا.

ضرب الحمار الوحشي الأرض بحافره وقال بغضب :

قلت لك إنه أصفر !

بدأت الطيور تتوقف عن الغناء. والأرانب الصغيرة أخرجت رؤوسها من الجحور. حتى السناجب توقفت عن جمع الجوز لتسمع ما يحدث.

ارتفعت الأصوات. وكل واحد أراد أن يكون المنتصر.

قال الثعلب :

الحقيقة لا تتغير إذا أنكرناها.

ورد الحمار الوحشي :

وما أراه بعيني هو الحقيقة.

قال الثعلب :

أحيانًا تخطئ العين، لكن العقل يساعدها.

فصرخ الحمار الوحشي :

بل أنت المخطئ !

عندها اقترح أحد الغزلان التي كانت تراقب المشهد من بعيد :

لماذا لا تذهبان إلى الأسد الملك ؟ فهو يحكم بين الجميع بالعدل.

أعجبت الفكرة الحيوانات.

وسار الاثنان نحو عرين الأسد.

طوال الطريق استمر الجدال.

كان الحمار الوحشي يكرر :

أصفر... أصفر... أصفر.

أما الثعلب فكان يقول :

الحقيقة لا تحتاج إلى صراخ حتى تصبح حقيقة.

وعندما وصلا إلى عرين الأسد ، كان الملك يجلس تحت شجرة ضخمة، يراقب الغابة بهدوء الحكيم الذي رأى كثيرًا من الأيام وكثيرًا من الخلافات.

قال الأسد :

ما الأمر ؟

تحدث الاثنان معًا.

وتداخلت الأصوات.

فزأر الأسد زئيرًا خفيفًا أعاد الصمت إلى المكان.

ثم قال :

ليتحدث الحمار الوحشي أولًا.

ابتسم الحمار الوحشي في سرّه.

وظن أن السماح له بالكلام أولًا دليل على أنه صاحب الحق.

و قال بفخر :

أيها الملك ، إن الثعلب يقول إن البرسيم أخضر ، بينما لونه الأصفر واضح مثل الشمس.

نظر الأسد إلى الثعلب.

و قال :

وما قولك أنت ؟

أجاب الثعلب :

البرسيم أخضر يا مولاي ، ويمكن لأي أحد أن يرى ذلك. وكل ما أريده أن يعترف صديقي بالحقيقة.

وقبل أن ينهي كلامه، عاد الشجار من جديد. كل واحد يقاطع الآخر. وكل واحد يريد أن يسمع صوته فقط.

أغلق الأسد عينيه لحظات.

ثم قال بهدوء :

كفى.

ساد الصمت.

حتى الريح بدت وكأنها توقفت عن الحركة.

فكر الأسد طويلًا.

كان يعلم أن البرسيم أخضر.

وكان يعلم أيضًا أن الحمار الوحشي لن يقتنع مهما قيل له.

ثم رفع رأسه وأعلن حكمه :

يُطلق سراح الحمار الوحشي ، ويُعاقب الثعلب بالبقاء بعيدًا عن مجلس الغابة شهرًا كاملًا.

قفز الحمار الوحشي فرحًا. وركض بين الأشجار وهو يردد :

لقد انتصرت! لقد كنت على حق !

أما الثعلب فبقي واقفًا في مكانه، وعلامات الدهشة تملأ وجهه.

اقترب من الأسد وقال بهدوء :

يا مولاي، هل البرسيم أخضر أم أصفر ؟

أجاب الأسد :

أخضر بلا شك.

ازداد تعجب الثعلب و قال :

فلماذا عاقبتني إذن ؟

ابتسم الأسد ابتسامة الحكيم وقال :

لأنك أضعت وقتك وجهدك في جدال من لا يريد أن يرى الحقيقة.

ثم تابع :

هناك فرق كبير بين من يبحث عن المعرفة ، ومن يبحث فقط عن الانتصار.

الأول إذا عرف الحقيقة شكر من علّمه. أما الثاني ، فيغضب من الحقيقة لأنها تخالف رأيه.

سكت الثعلب يفكر.

و أكمل الأسد :

ليس كل نقاش يستحق أن نخوضه.

فالمعلم الحكيم يعرف متى يشرح، ومتى يصمت.

والطبيب لا يجادل من يرفض الدواء. والزارع لا يزرع البذور فوق الصخور.

رفع الثعلب رأسه و قال :

الآن فهمت يا مولاي.

قال الأسد :

الحوار الجميل يشبه بناء الجسور. أما الجدال العقيم، فيشبه الجري داخل دائرة لا نهاية لها.

في الأيام التالية، صار الثعلب أكثر حكمة. وأصبح يسأل نفسه قبل أي نقاش :هل يريد الطرف الآخر أن يفهم ؟ أم يريد فقط أن ينتصر ؟

فإن وجد قلبًا يبحث عن الحقيقة ، فتح له أبواب المعرفة.

وإن وجد عنادًا مغلقًا ، ابتسم ومضى في طريقه.

أما الحمار الوحشي، فقد بقي وقتًا طويلًا يظن أنه انتصر.

لكن الأيام علمته شيئًا مهمًا.

ففي أحد الأيام أخطأ في طريق العودة إلى القطيع، ورفض الاستماع إلى نصائح الغزلان التي أرادت مساعدته.

فضلّ الطريق ساعات طويلة. وعندما عاد أخيرًا ، أدرك أن الاعتراف بالخطأ لا يُنقص من قيمة أحد ، بل يزيده احترامًا في عيون الآخرين.

ومنذ ذلك اليوم، بدأ يتعلم أن يقول أحيانًا :

ربما أكون مخطئًا، فلأستمع أولًا.
وكانت تلك الجملة الصغيرة بداية تغيير كبير.

الثعلب والأسد المريض

حين تتكلم الآثار أكثر من الكلمات

في صباحٍ هادئٍ من صباحات الغابة، كانت الأشجار العالية تلوّح بأغصانها للريح، وكانت الطيور تنثر ألحانها فوق الأغصان كأنها رسائل سلامٍ صغيرة تحملها السماء إلى الأرض. بدت الغابة جميلة كما لو أنها لوحةٌ مرسومة بألوان الحياة، لكن خلف هذا الهدوء كان هناك أمرٌ يشغل قلوب الحيوانات جميعاً.

في قلب الغابة، وعلى تلةٍ تحيط بها الصخور والأشجار الكثيفة، كان يعيش الأسد، ملك الغابة الذي حكمها سنوات طويلة.

كان اسمه وحده كافياً ليجعل الأصوات تنخفض والقلوب تخفق سريعاً.

عرفت الحيوانات الأسد قوياً شديداً لا يردعه شيء. كان يخرج مع شروق الشمس، فتختبئ الحيوانات في جحورها أو خلف الأشجار، لأن الجميع يعلم أن الأسد إذا قرر الصيد فلن يتراجع حتى يحصل على فريسته.

كان يعتمد على قوته وسرعته وأنيابه الحادة، ولم يكن يفكر كثيراً في مشاعر الآخرين أو حاجاتهم، فالقوة في نظره كانت تعني الحق، ومن يملك القوة يملك كل شيء.

وكانت الحيوانات الصغيرة تنتظر انتهاءه من طعامه لتقترب بحذر من بقاياه، فتأكل ما تبقى وتسارع بالابتعاد خوفاً من غضبه.

مرت السنوات سريعاً كما تمر الغيوم في السماء.

كبر الأسد، وبدأ الزمن يترك آثاره على جسده. لم تعد خطواته ثابتة كما كانت، ولم تعد مخالبه تقطع الأرض بقوة، وأصبح النفس يتعبه، والركض يرهقه، والصيد الذي كان يوماً لعبته المفضلة صار مهمةً شاقة تفوق قدرته.

وذات مساء، جلس الأسد أمام كهفه يتأمل غروب الشمس.

نظر إلى انعكاس صورته في بركة ماء قريبة، ففوجئ بشعره الذي غزاه الشيب، وعينيه اللتين فقدتا بعض بريقهما.

تنهد طويلاً وقال في نفسه :

كيف تغير كل شيء بهذه السرعة ؟ أين تلك الأيام التي كنت أركض فيها خلف الغزلان كالسهم ؟ أين القوة التي كانت تجعل الجميع يخشاني ؟

شعر الأسد لأول مرة بالخوف.

لم يكن يخاف الجوع فقط ، بل كان يخاف فقدان المكانة والهيبة والسلطة.

قال لنفسه :

إذا علمت الحيوانات أنني أصبحت ضعيفاً فلن تخافني بعد اليوم، وربما لن تطيع أوامري كما كانت تفعل من قبل.

ظل يفكر ساعات طويلة حتى لمع في رأسه خاطرٌ ظنه ذكاءً عظيماً.

ابتسم ابتسامةً خفيفة و قال :

لن أخبرهم بضعفي ، بل سأخبرهم بمرضي .سأبقى داخل الكهف، وستأتي الحيوانات لزيارتي والاطمئنان عليّ، وعندها لن أحتاج إلى الصيد أو المطاردة.

وفي صباح اليوم التالي انتشر الخبر في الغابة كلها.

الأسد مريض. ملك الغابة طريح الفراش.

وصل الخبر إلى الطيور فوق الأشجار، وإلى الأرانب في جحورها، وإلى الغزلان عند النهر، وإلى القردة بين الأغصان.

شعرت الحيوانات بالخوف والقلق.

فمهما كان الأسد قاسياً، فإنه ظل ملك الغابة، وكان الجميع يخشى غضبه إن أهمل زيارته أو تأخر في السؤال عنه.

قال الأرنب الصغير لأمه :

هل سنذهب لزيارة الأسد ؟

أجابته الأم وهي تحاول إخفاء خوفها :

علينا أن نفعل ما يفعله الجميع.

و قالت الغزالة لصديقاتها :

ربما يحتاج إلى المساعدة ، وربما يغضب إن لم نزره.

وهكذا بدأت الحيوانات تتوافد إلى كهف الأسد الواحد تلو الآخر.

دخل الأرنب أولاً. ثم دخلت الغزالة. ثم دخل الخروف. ثم دخل الحمار الوحشي.

وكان كل حيوان يدخل الكهف ولا يعود أبداً.

في البداية ظنت الحيوانات أن المرض شديد وأن الأسد يحتاج إلى الراحة، لذلك لم تستغرب غياب الزوار.

لكن الأيام مضت، وعدد الزائرين الذين لم يعودوا أخذ يزداد.

أما الأسد فكان يجلس داخل كهفه سعيداً بخطته. لم يعد يركض أو يتعب أو يلاحق أحداً. الطعام أصبح يأتي إليه بنفسه.

وكان يقول ضاحكاً في نفسه :

ما أسهل أن يحصل المرء على ما يريد حين يستخدم ذكاءه.

لكن ما ظنه الأسد ذكاءً لم يكن في الحقيقة إلا خداعاً.

والخداع قد ينجح مرة أو مرتين، لكنه لا يستطيع أن يخدع الجميع إلى الأبد.

وفي طرفٍ بعيد من الغابة كان يعيش ثعلب عُرف بين الحيوانات بالذكاء وحسن الملاحظة.

لم يكن الأقوى جسداً، لكنه كان يملك عقلاً يقظاً وعينين تريان ما يغفل عنه الآخرون. وكان يؤمن دائماً أن التفكير الهادئ يحل مشكلاتٍ كثيرة لا تستطيع القوة حلها.

وصل خبر مرض الأسد إلى الثعلب أيضاً.

وفكر قليلاً ثم قال :

غريب هذا الأمر... لقد دخل كثيرون إلى الكهف، لكنني لم أرَ أحداً منهم يعود.

وفي اليوم المحدد لزيارته، انطلق الثعلب نحو كهف الأسد.

كانت الرياح تحرك أوراق الأشجار اليابسة، وكان المكان هادئاً على غير العادة.

اقترب الثعلب من مدخل الكهف، ثم توقف فجأة. انحنى قليلاً ونظر إلى الأرض بعناية. رأى آثار أقدام كثيرة. آثار أقدام للأرانب. وآثاراً للغزلان. وأخرى للخراف والحيوانات المختلفة. كلها تتجه نحو

الداخل. لكن شيئاً واحداً أثار دهشته. لم يجد أثراً واحداً لأي قدم تخرج من الكهف.

رفع رأسه ببطء ، وأخذ يفكر.

قال في نفسه :

الآثار لا تكذب. من يدخل إلى هنا لا يخرج.

في تلك اللحظة سمع صوت الأسد من الداخل :

أهلاً بصديقي الثعلب ! تعال وادخل ، لقد اشتقت إلى حديثك الجميل.

ابتسم الثعلب لكنه بقي واقفاً في مكانه.

قال بصوت هادئ :

كيف حالك أيها الملك ؟

رد الأسد بصوت ضعيف متصنع :

أنا أفضل قليلاً، لكن المرض أتعبني كثيراً. اقترب مني يا صديقي حتى نتحدث كما كنا نفعل دائماً.

تقدم الثعلب خطوة صغيرة ثم توقف من جديد.

قال الأسد :

لماذا تقف بعيداً ؟ ألا تثق بي ؟

ابتسم الثعلب و قال :

بل أثق بما أراه أكثر مما أسمعه.

تفاجأ الأسد وسأله :

وماذا ترى ؟

أجاب الثعلب بهدوء :

أرى آثار أقدام كثيرة تدخل إلى كهفك، لكنني لا أرى أثراً واحداً خرج منه.

ساد الصمت للحظات.

شعر الأسد بأن كلماته قد اختفت فجأة.

أما الثعلب فأكمل قائلاً :

العاقل لا ينظر إلى الكلام فقط ، بل ينظر إلى الدليل أيضاً . والحكيم لا يسير حيث سار الآخرون دون أن يسأل إلى أين انتهى طريقهم.

ثم انحنى احتراماً و قال :

أتمنى لك الشفاء أيها الملك.

واستدار عائداً إلى الغابة تاركاً الأسد وحيداً داخل كهفه.

شعر الأسد بالغضب الشديد. فقد أدرك أن خطته انكشفت. لكنه أدرك شيئاً آخر أيضاً. أدرك أن القوة وحدها لا تكفي، وأن الذكاء الصادق أقوى من المخالب والأنياب.

ومرت أيام أخرى، وانتشر حديث الثعلب في أنحاء الغابة كلها.

بدأت الحيوانات تفكر فيما حدث.

قالت الغزالة الصغيرة :

لو أننا فكرنا قليلاً قبل الدخول لما خسرنا أصدقاءنا.

و قال الأرنب :

الخوف يجعل الإنسان أحياناً يتوقف عن التفكير.

أما البومة الحكيمة فقالت :

من يسلم عقله للخوف قد يقع في الخطأ بسهولة.

وأصبحت قصة الثعلب تُروى للصغار والكبار جيلاً بعد جيل. كان الآباء يروونها لأبنائهم قبل النوم. وكان المعلمون يذكرونها في المدارس حين يتحدثون عن التفكير السليم.

فالقصة لم تكن عن أسدٍ وثعلبٍ فقط، بل عن الحياة كلها.

كم من إنسانٍ يصدق كل ما يسمعه دون أن يبحث عن الحقيقة ؟ وكم من شخصٍ يسير خلف الآخرين لمجرد أن الجميع يسيرون في الطريق نفسه ؟ وكم من مشكلةٍ كان يمكن تجنبها لو أننا توقفنا قليلاً وفكرنا ؟

لقد علمنا الثعلب أن الملاحظة الدقيقة قد تنقذ صاحبها من أخطارٍ كبيرة. وعلمنا أن الذكاء ليس في كثرة الكلام، بل في حسن التفكير. وعلمنا أيضاً أن احترام الآخرين لا يعني التخلي عن العقل أو إلغاء الأسئلة.

فالإنسان الواعي يجمع بين الأدب والحكمة، وبين الاحترام والتفكير.

أما الأسد فقد علمته الحياة درساً آخر. فالقوة التي لا يرافقها العدل تتحول إلى خوف. والخوف لا يصنع محبةً حقيقية.

ولو أن الأسد عامل الحيوانات بالرحمة والإنصاف طوال سنوات قوته، لربما وقفت الحيوانات إلى جانبه حين مرض وضعف، ولحملوا إليه الطعام بمحبة لا بخوف، ولزاروه بدافع الوفاء لا بدافع الرهبة.

فالقلوب تُكسب بالإحسان لا بالبطش. والاحترام الحقيقي لا يُفرض بالقوة، بل يُبنى بالأخلاق.

ومع مرور الزمن، أصبحت الحيوانات تردد حكمة الثعلب كلما واجهتها مواقف غامضة :

انظر إلى الآثار قبل أن تصدق الكلمات.

لأن الحقيقة كثيراً ما تترك بصمتها على الطريق، ولا تحتاج إلا إلى عينٍ تلاحظ، وعقلٍ يفكر، وقلبٍ لا يخاف من البحث عن الصواب.

وهكذا بقيت آثار الأقدام عند باب الكهف تروي قصتها لكل من يمر بالمكان.

قصة تقول لنا إن التفكير نعمة عظيمة، وإن الحكمة قد تنقذ صاحبها حين تعجز القوة عن حمايته.

فالعقول الواعية هي التي تبني الأمان، وتكشف الخداع، وتصنع مستقبلاً أفضل للجميع.

الثعلب والطاووس
حكاية الريش المستعار

حين استيقظ الثعلب ذات صباح ، لم يجد الأشجار التي اعتاد أن يستظل بها، ولا الممرات الضيقة التي حفظتها قدماه بين جذور الغابة القديمة. اختفى كل شيء كما تختفي صورة على صفحة ماء هادئ بعد أن تلقي فيها الريح حجراً صغيراً.

وقف مبهوتاً. أين ذهبت الغابة ؟ و أين أصوات الأسود والذئاب والنسور ؟ و أين رائحة التراب المبتل بعد المطر ؟

رفع رأسه فرأى عالماً جديداً لم تعرفه عيناه من قبل؛ مزرعة واسعة تزدحم بالطيور من كل لون وشكل، أسراب من الحمام، وطيور صغيرة لا تكاد تُرى بين الزحام، وبط وإوز ودجاج،

وفي قلب المشهد كان هناك طاووس ضخم يقف فوق منصة مرتفعة، يفتح ريشه الملون كأنه شمس صنعت من الألوان.

وحوله ببغاوات كثيرة. كلما قال كلمة، أعادوها. وكلما ضحك، ضحكوا. وإذا عبس، عبسوا.

كانوا يرددون عباراته كما يردد الجبل صدى الصوت ، لا يسألون ، لا يناقشون ، لا يفكرون.

حتى أخطاؤه كانت بالنسبة لهم حكمة. و سخافاته كانت نوادر تثير الضحك و التصفيق.

تأمل الثعلب المشهد طويلاً وقال في نفسه :

ما أخطر أن يتوقف الناس عن التفكير، وأن يكتفوا بالترديد.

منذ ذلك اليوم بدأت علاقة غريبة بين الثعلب والطاووس.

كانا يشبهان طرفي مقص؛ قريبين دائماً، لكن كل واحد منهما يشد في اتجاه مختلف.

كان الثعلب يحب الأسئلة. أما الطاووس فيحب التصفيق. كان الثعلب يبحث عن الحقيقة. أما الطاووس فيبحث عن المرايا.

وكان الفرق بين من يبحث عن الحقيقة ومن يبحث عن صورته في أعين الآخرين فرقاً شاسعاً كالمسافة بين النهر والسراب.

كان الطاووس سريع القرارات، سريع الغضب، سريع التراجع أيضاً.

يتحدث بثقة الجبال صباحاً ، ثم يغير رأيه مساءً وكأن شيئاً لم يكن. وكان يبرر ذلك دائماً بأنه ذكاء وحنكة سياسية.

لكنه في الحقيقة كان يخشى المواجهة أكثر مما يخشى الخطأ.

وكان يعيش داخل فقاعة كبيرة اسمها :

الجميع يتآمر عليّ. إذا اختلف معه أحد، اعتبره عدواً.و إذا نصحه أحد، اتهمه بالحسد. و إذا صمت أحد، ظن أنه يدبر مكيدة في الظلام.

أما الثعلب فكان يرى الأمور بصورة مختلفة. فالزعيم الحقيقي ـ كما كان يعتقد ـ لا يخاف من السؤال ، ولا يضيق بالنقد ، ولا يرى المؤامرات في كل زاوية.

كان يقول دائماً :

الأشجار القوية لا تخاف من الريح، لأنها تعرف جذورها.

ومع مرور الأيام اكتشف الثعلب أمراً غريباً.

فالطاووس الذي يظهر أمام أتباعه بصورة الأسد الجريء، يتحول أمام الأقوياء إلى طائر مرتبك يخفض جناحيه وينظر إلى الأرض.

كان يهدد الضعفاء. ويجامل الأقوياء. ويصرخ في وجوه أتباعه. ثم يبتسم صامتاً أمام من يخشاهم.

عندها أدرك الثعلب أن بعض الشجاعة قد تكون مجرد قناع جميل.

*

وفي مساء هادئ، جلس الثعلب أمام الطاووس وسأله :

لماذا تتغير مواقفك بهذه السرعة ؟

لم يجب الطاووس.

فسأله مرة أخرى:

و لماذا تبدو أسداً مع رعاياك ، بينما تصبح نعامة أمام الآخرين ؟

ارتفعت رقبة الطاووس أكثر، و قال بفخر :

لأنك لا تعرف حجم محبة الجميع لي. كل الطيور هنا تعشقني. ولا تستطيع تخيل قائد غيري. أما ما تسميه تراجعاً فهو دهاء لا يفهمه إلا أصحاب الخبرة.

ابتسم الثعلب بهدوء و قال :

نعم، هناك من يحبك.

لكن بعض المحبة يصنعها الخوف، وبعض التصفيق تصنعه المصلحة. فهل سألت نفسك يوماً: كم واحداً يحبك إذا اختفى الكرسي ؟

ساد الصمت. و كان الصمت أحياناً أكثر إيلاماً من الإجابة.

نهض الطاووس غاضباً وغادر المكان.

وقد اعتاد أن يستخدم الغضب ستاراً عندما تعجز الكلمات عن الدفاع عنه.

أما الثعلب فبقي وحده يتأمل سقف القاعة.

و قال في نفسه :

الإنسان الواثق من نفسه يجيب عن السؤال، أما الخائف فيغضب من السائل.

*

اقترب موعد الاحتفال الكبير. عيد الجلوس على العرش. اليوم الذي ينتظره الطاووس كل عام بشغف كبير.

منذ الفجر بدأت الطيور تتوافد إلى المزرعة الكبرى. الحمام في الخلف. العصافير الصغيرة على الأطراف. والدجاج مصطف في صفوف طويلة. أما الصفوف الأمامية فكانت مخصصة للضباع والضواري التي دعاها الطاووس بنفسه.

كان يحب أن يكرر أمام الجميع :

أصدقائي من المفترسين ، لا من الطيور الداجنة.

وكان يظن أن الاقتراب من الأقوياء يمنح الضعيف بعض القوة.

لكن الحقيقة أن ظل الشجرة لا يجعل العشب شجرة.

وقف الطاووس على منصته العالية. فتح ريشه. رفع رأسه.

و بدأ خطابه السنوي. قال بصوت مرتفع :

لقد اختفت الأسود منذ زمن بعيد.

خرجت ولم تعد. ومات عهدها إلى الأبد. ولم يبق في هذه الأرض سوى الطاووس.

صفقت الببغاوات بحماس. ورددت عباراته كلمة بكلمة.

ثم تابع:

بل إن الطاووس هو الأصل في الحكم ، والأسود لم تكن سوى مرحلة عابرة من التاريخ.

وكان يتحدث بثقة من يظن أن كثرة التكرار قادرة على تحويل الكذب إلى حقيقة. لكن الحقيقة تشبه الشمس. قد تختبئ خلف الغيوم، لكنها لا تموت.

انتهى الاحتفال. وغادرت الطيور الساحة.

وبقيت الزينة المعلقة تتراقص مع الريح كأنها تودع يوماً طويلاً من التصفيق.

أما الثعلب فشعر برغبة غامضة في معرفة ما يحدث خلف الأبواب المغلقة.

توجه نحو الجناح الخاص بالطاووس. ذلك المكان الذي لا يدخله إلا المقربون جداً. فتح الباب ببطء. ثم تجمد في مكانه. لم يكن أمامه طاووس. لم يكن هناك ذلك المخلوق المهيب الذي تملأ صورته المزرعة. بل وجد ببغاء صغيراً ضئيلاً. ببغاء عادياً للغاية. حولَه مجموعة من طيور الحاشية. كانوا يثبتون فوق جسده ريشاً ملوناً. ويعلقون على جانبيه أجنحة ضخمة مصنوعة من الورق المقوى. ويرتبون ذيله الصناعي بعناية كبيرة.

وحين ينتهون من عملهم، يقف الببغاء أمام المرآة فيتحول فجأة إلى الطاووس الذي يعرفه الجميع.

بقي الثعلب يحدق مذهولاً.

أما الببغاء فرفع رأسه ببطء. والتقت النظرات. لحظة طويلة مرت كأنها دهر كامل. كانت في عيني الثعلب دهشة. وفي عيني الببغاء خوف.

وكان في المكان صمت ثقيل يشبه سقوط جبل في قلب إنسان.

لأول مرة يرى الطاووس نفسه كما هو. ولأول مرة يرى الثعلب حجم الوهم الذي عاش فيه الجميع.

لم يقل أحد كلمة. فبعض الحقائق أكبر من اللغة.

خرج الثعلب مسرعاً.

وكان الريش الملون يتناثر تحت قدميه دون أن ينتبه. ريشة حمراء. وأخرى زرقاء. وثالثة خضراء. وكأن الأرض نفسها كانت تبتلع الخدعة قطعة بعد أخرى.

نظر إلى السماء. كانت الغيوم تتحرك ببطء. والهواء يحمل الريش بعيداً عن القصر.

فهمس :

الزيف يحتاج إلى جهد هائل كي يبقى واقفاً، أما الحقيقة فتقف وحدها.

وفي الأيام التالية بدأت الطيور تلاحظ أموراً صغيرة لم تكن تراها من قبل.

كيف اختفى اللون عند المطر.و كيف صار الريش أقل بريقاً. و كيف أصبح الصوت المرتفع عاجزاً عن إخفاء الارتباك.

شيئاً فشيئاً بدأ السؤال ينتشر بين الطيور. والأسئلة مثل الضوء. إذا دخلت غرفة مظلمة، لم تعد الظلمة كما كانت.

أدركت الطيور أن القائد لا يصنعه الريش. ولا تصنعه المنصات العالية. ولا تصنعه الخطب الطويلة. القائد الحقيقي يصنعه الصدق. ويصنعه العدل. ويصنعه احترام عقول الآخرين.

فمن يخاف السؤال لا يستطيع قيادة العقول. ومن يبني مكانته على الخوف يعيش خائفاً من سقوطها.

*

جلس الثعلب قرب النهر في المساء. كانت المياه تمضي في طريقها بهدوء.

فقال لنفسه :

كم يشبه الناس الماء. فالماء الصافي يكشف ما تحته. أما الماء العكر فيخفي الحقيقة.

ثم تذكر معلماً عجوزاً كان يعيش في الغابة القديمة، وكان يقول لتلاميذه :

ليس المهم أن تبدو كبيراً، بل أن تكون كبيراً حقاً.

فالريشة المستعارة قد تخدع العيون يوماً، لكنها لا تستطيع خداع الزمن.

ابتسم الثعلب.

وأدرك أن التربية الحقيقية لا تبدأ بتعليم الصغار كيف يتحدثون، بل كيف يفكرون. ولا تبدأ بتعليمهم التصفيق، بل تعليمهم السؤال. فالذين يفكرون يصعب خداعهم. والذين يسألون يصعب قيادهم نحو الوهم. أما الذين يكتفون بالترديد، فقد يتحولون دون أن يشعروا إلى ببغاوات أخرى في صف طويل من الببغاوات.

*

حل الليل. واختفت الأصوات شيئاً فشيئاً. وبقيت عبارة واحدة تدور في رأس الثعلب، تتردد مع الريح، وتعود مع خرير الماء، وتختلط بصوت الأشجار البعيدة :

لا أحد يستطيع أن يخدع كل الناس كل الوقت. وكان يعرف أن هذه ليست نهاية الحكاية فقط. بل بداية وعي جديد.

الثعلب همام والبومة الحكيمة

في مساءٍ هادئٍ كانت الشمس تنسحب ببطء خلف الأشجار العالية، وكأنها تودع الغابة بأصابع من ذهب، خرج الثعلب همامهمامهمام من جحره القابع داخل شجرة بلوطٍ عتيقة. كان الهواء يحمل رائحة التراب المبلل، وكانت الطيور تعود إلى أعشاشها بعد يومٍ طويل.

وقف همام عند باب جحره، ينظر إلى الطريق الممتد بين الأشجار، وشعر بشيءٍ غريبٍ يثقل قلبه الصغير.

كان كل شيءٍ يبدو جميلاً من حوله، لكن داخله كان ممتلئاً بالأسئلة.

لماذا ينجح بعض الحيوانات في حياتها بينما يضيع آخرون ؟ كيف يعرف المرء الطريق الصحيح عندما تتشابه الطرق ؟ وهل تكفي الشجاعة وحدها لعبور الغابة الكبيرة التي تسمى الحياة ؟

رفع بصره نحو الغصن القديم فوقه، فوجد البومة العجوز هماملوناهمام جالسةً كعادتها، تراقب الغابة بعينيها الواسعتين اللتين تشبهان قمرين صغيرين في ليلة صافية.

ابتسمت لونا و قالت :

يبدو أن لديك عاصفةً من الأسئلة هذه الليلة يا همام.

تنهد الثعلب همام وجلس عند جذع الشجرة.

قال بصوتٍ منخفض:

أشعر أنني تائه يا لونا. الجميع يعرف ما يريد إلا أنا. الذئب يريد أن يصبح قائد القطيع، والسنجاب يجمع مؤونته للشتاء، والعصافير تعرف طريق هجرتها، أما أنا فأشعر وكأنني أمشي دون أن أعرف إلى أين أذهب.

أغلقت البومة عينيها لحظة ثم قالت:

الضياع ليس أن تجهل الطريق، بل أن ترفض البحث عنه.

رفع همام رأسه بدهشة.

فأكملت :

وأول طريق الحكمة يبدأ بسؤالٍ صادق.

جلس الثعلب بجانبها يستمع بكل تركيز، بينما كانت النجوم تظهر واحدةً تلو الأخرى في السماء.

قالت لونا :

سأحكي لك حكاية المرج الساحر.

اتسعت عينا همام بالحماس ، والتف ذيله حول جسده استعداداً لسماع القصة.

قالت البومة :

بعيداً عن هذه الغابة كان يوجد مرجٌ واسع، تملؤه الزهور الملونة، لكن تلك الزهور لم تكن عادية، فقد كانت تمنح هدايا لا تُرى بالعين، بل تُشعر بها القلوب.

سأل همام :

وما هذه الهدايا ؟

ابتسمت لونا و قالت :

كانت تمنح الشجاعة، والصبر، والصدق، والأمل، والحكمة.

تابعت حديثها :

في أحد الأيام وصلت إلى المرج أرنبة صغيرة تدعى سوني. كانت خائفة من كل شيء، تخاف من الظلام، ومن الأصوات العالية، وحتى من اتخاذ القرارات الصغيرة.

اقتربت سوني من زهرة عباد الشمس المضيئة وسألتها :

ما هديتك لي ؟

فأجابتها الزهرة :

أمنحك الشجاعة ، لكن تذكري أن الشجاعة لا تعني غياب الخوف، بل القدرة على السير رغم وجوده.

ظلت الكلمات تدور في رأس همام.

قال للبومة :

كنت أظن أن الشجاع لا يخاف أبداً.

ضحكت لونا بهدوء.

حتى أكثر الحيوانات حكمةً تشعر بالخوف أحياناً. الفرق أن الحكيم لا يسمح للخوف بأن يقود خطواته.

في الأيام التالية بدأ همام يطبق ما تعلمه.

كان أول اختبار له عندما وجد أرنباً صغيراً عالقاً بين الأغصان بعد عاصفة قوية.

تردد في البداية. فالمكان مرتفع، والطريق ضيق، والسقوط ممكن. لكن كلمات لونا عادت إلى ذاكرته :

الشجاعة أن تفعل الصواب رغم خوفك.

تسلق الأغصان بحذر حتى وصل إلى الأرنب وساعده على النزول.

شكرته الأرنب الصغيرة وهي تبتسم.

شعر همام يومها بسعادة لم يعرفها من قبل.

اكتشف أن مساعدة الآخرين تمنح القلب دفئاً لا تمنحه المكاسب الشخصية.

في مساء ذلك اليوم، عاد إلى لونا وهو يبتسم.

قال :

الآن فهمت معنى الشجاعة.

لكن البومة هزت رأسها و قالت :

ما زالت الرحلة طويلة يا صديقي.

وفي صباحٍ آخر، سمع همام مجموعةً من الحيوانات تتحدث عن كنزٍ مخبأ بالقرب من النهر.

ركض الجميع بسرعة نحو المكان.

وكان الثعلب على وشك اللحاق بهم، لكنه وجد سلحفاة عجوزاً تحاول عبور الطريق بصعوبة.

توقف متردداً. إذا ساعدها فسيصل متأخراً. وإذا تركها فقد يفوز بالكنز.

جلس للحظات يفكر. ثم قرر أن يساعد السلحفاة.

عندما انتهى ووصل إلى النهر، اكتشف أن قصة الكنز لم تكن سوى إشاعة انتشرت بين الحيوانات.

ضحكت لونا عندما أخبرها بما حدث.

و قالت :

كم من الناس يركضون خلف أوهامٍ براقة وينسون واجباتهم الحقيقية.

أومأ همام برأسه. لقد تعلم درساً جديداً. ليست كل الأشياء اللامعة ذهباً.

ومع مرور الأيام، بدأ الثعلب يلاحظ شيئاً آخر. بعض الحيوانات كانت تلجأ إلى الكذب لتجنب العقاب أو للحصول على ما تريد.

وفي أحد الأيام، كسر صغير الدببة جرة العسل الخاصة بالقندس، ثم اتهم الريح بأنها السبب.

نظر الجميع إلى السماء الغائمة وصدقوا الحكاية.

لكن همام كان قد شاهد ما حدث.

احتار كثيراً. هل يقول الحقيقة ويغضب صديقه ؟ أم يصمت ويتجنب المشاكل ؟

ذهب إلى لونا وسألها.

قالت البومة بهدوء :

الصدق أحياناً أصعب من الكذب، لكنه الطريق الوحيد الذي لا يحتاج صاحبه إلى حفظ تفاصيله.

عاد همام وتحدث بلطف مع صغير الدببة.

اعترف الدب بخطئه واعتذر للقندس.

ولدهشة الجميع، لم يغضب القندس، بل ساعده على إصلاح الجرة.

في تلك اللحظة فهم همام درساً جديداً :

الصدق قد يسبب لحظةً من الإحراج، لكنه يمنع سنواتٍ من الندم.

ومرت الفصول. وجاء الشتاء قاسياً ذلك العام. تساقط الثلج بكثافة، وقل الطعام في الغابة. بدأت الحيوانات تشعر بالخوف. بعضها خزن الطعام لنفسه فقط. وبعضها أغلق أبوابه على الآخرين.

لكن همام تذكر حديث لونا عن التعاون. جمع ما لديه من طعام وذهب إلى جيرانه.

شارك السناجب والجِراء والعصافير ما يملك. وفي المقابل، قدم كل منهم شيئاً يستطيع تقديمه.

السنجاب أحضر المكسرات. والقندس أصلح الممرات المائية. والعصافير ساعدت في البحث عن الطعام.

اكتشف الجميع أن التعاون يجعل الأحمال أخف.

قالت لونا ذات مساء :

اليد الواحدة تستطيع حمل حجر، لكن الأيدي المتعاونة تستطيع بناء بيت.

ابتسم همام وهو ينظر إلى الحيوانات وهي تعمل معاً.

وتذكر ما يحدث في حياة البشر أيضاً.

فالأسرة التي يتعاون أفرادها تكون أكثر قوة. والمدرسة التي يتشارك طلابها المعرفة تصبح أكثر نجاحاً. والمجتمع الذي يساعد أفراده بعضهم بعضاً يصبح أكثر أمناً واستقراراً.

وفي إحدى الليالي، لاحظ همام أن البومة تبدو شاردة الذهن.

سألها :

هل أنت بخير يا لونا ؟

ابتسمت و قالت :

كنت أتذكر أياماً صعبة مرت علي.

صمتت قليلاً ثم تابعت :

في زمنٍ بعيد، كنت أؤمن بالخرافات أكثر من الحكمة. كنت أبحث عن الحظ في الأشياء الصغيرة، في ريشةٍ تسقط، أو حجرٍ غريب، أو رمزٍ أظنه يجلب السعادة.

نظر إليها همام باهتمام.

أكملت :

لكنني تعلمت مع الزمن أن الحظ الحقيقي ليس شيئاً نحمله في جيوبنا، بل هو المعرفة التي نحملها في عقولنا، والخير الذي نحمله في قلوبنا.

سألها :

إذن لا وجود للحظ ؟

ابتسمت و قالت :

قد تأتي الفرص للجميع، لكن الحكمة وحدها تعرف كيف تستفيد منها.

ظل همام يفكر طويلاً في كلماتها.

وفي الأيام التالية بدأ يقرأ، ويسأل، ويتعلم من أخطائه.

لم يعد يخجل من قول : لا أعرف.

بل أصبح يعتبرها بدايةً لمعرفة جديدة.

ومع مرور السنوات، تغير الثعلب همام كثيراً.

لم يعد ذلك الثعلب التائه الذي خرج من جحره ذات مساء يبحث عن طريقه. أصبح مرشداً لصغار الغابة.

كان يجلس معهم عند غروب الشمس، تماماً كما كانت تفعل لونا معه. يحكي لهم القصص، ويعلمهم أن النجاح ليس سباقاً مع الآخرين، بل رحلة مع النفس. ويخبرهم أن الحكمة لا تعني كثرة الكلام، بل حسن الفهم. وأن القوة ليست في التغلب على الآخرين، بل في التغلب على الغضب والأنانية والخوف.

وفي إحدى الأمسيات، رفع همام رأسه نحو الغصن القديم.

كان المكان فارغاً.

غابت لونا عن الغابة ، لكن كلماتها بقيت تحلق بين الأشجار كأنها أجنحة من نور.

ابتسم الثعلب وقال بصوتٍ هادئ :

الآن فهمت يا لونا لماذا كانت البومة رمزاً للحكمة.

نظر إلى النجوم التي بدأت تضيء السماء و أضاف :

لأن الحكمة تشبه النجوم، قد تكون بعيدة، لكنها دائماً قادرة على إرشاد التائهين.

عادت نسمة باردة تمر بين الأغصان ، وكأن الغابة كلها تبتسم.

أما همام ، فقد أدرك أخيراً أن الطريق نحو النجاح لا يُعثر عليه صدفة، بل يُبنى بالصبر، والصدق، والمعرفة، والعمل، والتعاون.

ومنذ ذلك اليوم، صار كل صغيرٍ في الغابة يسمع الحكاية نفسها :

حكاية ثعلبٍ كان يبحث عن الطريق، فاكتشف أن أعظم الخرائط ليست تلك المرسومة على الورق، بل تلك المرسومة في القلب والعقل معاً.

وهكذا بقيت حكاية الثعلب والبومة الحكيمة تنتقل من جيلٍ إلى جيل، تذكر الجميع بأن الإنسان، مثل الثعلب الصغير، قد يضيع أحياناً، لكنه ما دام يبحث عن الحكمة بصدق، فسيجد دائماً نجمةً تهديه الطريق.

حين يرتدي الخداع ثوب الصداقة

في أعماق غابةٍ واسعةٍ، كانت الأشجار العتيقة تهمس مع الريح بحكاياتٍ لا يعرفها إلا الزمن. وكانت الطيور تستقبل الصباح بأناشيدها، بينما كانت الحيوانات تبدأ يومًا جديدًا في رحلة البحث عن الطعام والأمان.

لكن الغابة، مثل الحياة، لم تكن تخفي الخير وحده، بل كانت تُخفي أيضًا النفوس الصادقة والنفوس الماكرة. فمن ينظر إلى الوجوه لا يستطيع دائمًا أن يرى ما تخبئه القلوب.

وفي صباحٍ هادئ، التقى ذئبٌ طيب القلب بثعلبٍ اشتهر بين الحيوانات بسرعة بديهته ولسانه المعسول. تبادلا الحديث طويلًا، ثم اتفقا على أن يكونا صديقين، يتقاسمان الطعام، ويتعاونان في الشدائد، ويقف كل واحدٍ منهما إلى جانب الآخر.

صافح كلٌّ منهما صاحبه، وتعاهدا على الوفاء، وانطلقا يبحثان عن مكانٍ يصلح للسكن في تلك الغابة الكبيرة.

افترق الصديقان عند مفترق الطرق، وكلٌّ منهما سار في اتجاه مختلف.

وبعد ساعاتٍ من البحث، وجد الذئب بيتًا صغيرًا كان قد تركه بعض الصيادين بعد رحيلهم. كان البيت متينًا، جدرانه من الحجارة الصلبة، وسقفه من الحديد، وبابه من خشبٍ قوي، يحمي ساكنه من المطر والبرد والحر.

وقف الذئب أمام البيت وهو يشعر بامتنانٍ كبير، وقال في نفسه :

الحمد لله... لقد رزقني الله مأوى آمنًا.

ولم يكن أول ما خطر في باله نفسه ، بل تذكّر صديقه الثعلب، وقال مبتسمًا :

هذا البيت يتسع لي وله أيضًا ، فالخير يزداد حين نتقاسمه.

وفي الجهة الأخرى ، لم يجد الثعلب إلا كوخًا متهالكًا ، تتسرب منه الرياح ، وسقفه مليء بالثقوب ، وأبوابه تكاد تسقط من أماكنها.

وحين زاره الذئب ورأى حال الكوخ، رقّ قلبه، وقال دون تردد :

تعال يا صديقي ، عِش معي في بيتي. فالبيت الواسع لا تكتمل راحته إلا بصحبةٍ طيبة.

ابتسم الثعلب ، لكنه لم يكن يبتسم امتنانًا... بل لأن فكرةً ماكرة بدأت تنمو في عقله.

ما إن دخل الثعلب البيت حتى أدرك أنه وجد كنزًا حقيقيًا. جدرانٌ قوية... وسقفٌ يحجب المطر... وأبوابٌ تحمي من الأخطار...

قال في نفسه :

لماذا أعيش ضيفًا ، وأنا أستطيع أن أصبح صاحب هذا البيت ؟

ومنذ تلك اللحظة، بدأ ينسج خيوط خطته.

اقترب من الذئب وقال بنبرةٍ يملؤها القلق المصطنع :

يا صديقي... أخشى أن هذا البيت ليس آمنًا كما تظن.

تعجب الذئب و سأله :

و كيف ذلك ؟

قال الثعلب :

تخيّل لو هاجمك الصيادون وأنت نائم! الأبواب مغلقة، والنوافذ قليلة، فكيف ستفر؟ أما كوخي، ففيه فتحات كثيرة تستطيع الهرب منها بسرعة.

ظل الذئب يفكر قليلًا، ثم قال ببراءة :

و ماذا تقترح ؟

أجاب الثعلب :

خذ كوخي، وسأقيم أنا هنا. المهم أن تكون في أمان.

ابتسم الذئب و قال بصدق :

جزاك الله خيرًا يا صديقي ، ما أطيب قلبك.

أما الثعلب ، فقد أخفى ابتسامة انتصاره.

>

حلّ الليل... وتجمعت السحب السوداء...

ثم هبت عاصفةٌ عنيفة، تبعتها أمطار غزيرة.

كان الذئب في الكوخ المتهالك يرتجف من شدة البرد ، والماء يتساقط فوق رأسه من كل جهة ، حتى غمرت المياه أرضية الكوخ.

أما الثعلب، فكان مستلقيًا في البيت المتين، يسمع صوت المطر وهو يرتطم بالسقف الحديدي ، بينما هو ينعم بالدفء والراحة.

وفي الصباح، جاء الثعلب متظاهرًا بالحزن. وجد الذئب يرتجف من شدة البرد.

فأشعل نارًا وقال :

لماذا لم تأتِ إليّ البارحة ؟ لقد كنت قلقًا عليك.

شكره الذئب، ولم يدرك أن الذي أشعل النار هو نفسه من أشعل نار الخداع في قلب الصداقة.

>

وفي اليوم التالي خرجا للصيد.

وبعد مطاردةٍ طويلة ، تمكن الذئب من اصطياد خروفٍ سمين ، بينما لم يحصل الثعلب إلا على حملٍ صغيرٍ هزيل.

نظر الثعلب إلى غنيمة الذئب ، ثم قال مبتسمًا :

يا صديقي ، يبدو أنك لا تعرف أفضل أنواع اللحم.

استغرب الذئب.

قال الثعلب :

الخروف الكبير كثير الصوف ، ولحمه قاسٍ ، أما الحمل الصغير فلحمه طري و لذيذ ، وهو أنسب لك بعد مرضك.

ثم أضاف :

لن أقبل أن تأكل ما يضرك، خذ حملي، وأعطني خروفك.

وافق الذئب مرة أخرى.

لكن عندما بدأ يأكل، لم يجد إلا جلدًا وعظمًا وقليلًا من اللحم.

أما الثعلب فقد التهم الخروف السمين حتى شبع.

وهكذا خسر الذئب طعامه ، كما خسر قبل ذلك بيته ، لكنه لم يخسر بعد ثقته العمياء.

ولما اشتد الجوع، قال الثعلب :

هناك زريبة أغنام قرب القرية. ادخل أنت ، وسأقف خارجًا أحرسك من كلاب الحراسة.

وكعادته، صدق الذئب. دخل الزريبة وحده. لكن أحد الكلاب رآه، فأطلق نباحًا عاليًا.

استيقظ أهل القرية ، وأحاطوا بالذئب، وضربوه ضربًا شديدًا حتى كسرت إحدى ساقيه.

أما الثعلب... فقد هرب منذ اللحظة الأولى، تاركًا صديقه يواجه المصير وحده.

وبعد ساعاتٍ طويلة ، تمكن الذئب من الفرار بصعوبة ، وهو يجر جسده المتعب.

وفي طريق العودة قال لنفسه :

كم مرةً خدعني ؟ أخذ بيتي... وأخذ طعامي... وتركني وحدي أمام الخطر...

ليست كل كلمةٍ طيبة دليلًا على طيبة القلب. وكان ذلك أول درسٍ يتعلمه من تجاربه.

>

في صباح اليوم التالي ، جاء الثعلب متظاهرًا بالاهتمام.

قال :

كيف أصبحت يا صديقي ؟

أجاب الذئب بهدوء :

الألم شديد.

قال الثعلب :

لا تقلق ، سأذهب لأحضر لنا طعامًا.

و مضى. طال غيابه.

فخرج الذئب يبحث عنه.

وبعد مسافةٍ طويلة ، وجده عالقًا داخل فخٍ نصبه الرعاة. كان يحاول التخلص منه بلا جدوى.

فلما رأى الذئب ، قال بسرعة :

انظر إلى هذا العقد الجميل ! أحضرته من الجبال للزينة.

ابتسم الذئب ابتسامةً مختلفة هذه المرة. لم تعد ابتسامة السذاجة... بل ابتسامة الحكمة.

قال :

حقًا ؟

أجاب الثعلب :

تعال، فك هذه العقود عني والبسها أنت.

ضحك الذئب و قال :

لقد تعلمت الدرس يا ثعلب. هذه ليست عقودًا، بل أفخاخ نصبتها يداك لنفسك قبل أن ينصبها الرعاة لك.

ثم استدار ومضى.

>

وفي الصباح، جاء الرعاة، فوجدوا الثعلب في الفخ. لقد عرفوه، فقد طالما سرق دجاجهم وأغنامهم. فعاقبوه عقابا شديدا .

وقف الذئب بعيدًا يتأمل المشهد، ولم يشعر بالشماتة، بل بالحزن على نهايةٍ كان يمكن أن تكون مختلفة.

وقال في نفسه :

المكر قد يمنح صاحبه مكسبًا سريعًا ، لكنه يسلبه احترام الناس، ويقوده في النهاية إلى الهلاك.

أما الصدق، فقد يبدو طريقه أطول ، لكنه الطريق الوحيد الذي يمنح صاحبه راحة القلب.

ثم عاد إلى الغابة ، وقد أصبح أكثر حكمةً من ذي قبل.

ومنذ ذلك اليوم، صار الذئب يختار أصدقاءه بعناية.

فقد أدرك أن الصديق الحقيقي لا يستغل ضعفك ، ولا يخدعك بالكلمات الجميلة ، ولا يختبئ خلفك وقت الخطر.

فالإنسان، كما الحيوان في هذه الحكاية، لا يُعرف بكثرة كلامه، وإنما بأفعاله.

وفي مدارسنا، قد نجد طالبًا يساعد زميله في فهم الدرس، وآخر يستغل ثقته لينسب عمله لنفسه. وفي بيئة العمل قد نجد من يشارك فريقه النجاح، وآخر ينسب جهود الجميع إلى نفسه. وفي الحياة اليومية قد يبتسم بعض الناس كثيرًا، لكن الابتسامة وحدها لا تكفي للحكم على أخلاقهم.

ولهذا فإن التربية الحقيقية لا تقتصر على تعليم القراءة والكتابة، بل تعلم الإنسان التفكير، والتمييز بين الصدق والخداع، وعدم اتخاذ القرارات تحت تأثير الكلام المعسول وحده.

إن الثقة قيمة عظيمة، لكنها تحتاج إلى حكمة. والطيبة خُلُق كريم، لكنها لا تعني السذاجة. والعقل الواعي يحفظ القلب الطيب من الوقوع في شباك المخادعين.

ليس كل من ابتسم لك صديقًا، وليس كل من أكثر من الوعود مخلصًا. فالصديق الصادق يثبت صدقه بالمواقف، أما المحتال فيعيش على الكلمات حتى تتكشف حقيقته. ومن جعل الخداع طريقًا للنجاح، فقد يمشي سريعًا في البداية، لكنه يصل في النهاية إلى طريقٍ مسدود، بينما يبقى الصدق والأمانة والوفاء أساس العلاقات الناجحة والمجتمعات القوية.

في منزل أنثى السنجاب... دقَّ دقَّ الباب

كانت أشعة الصباح تتسلل بين أغصان الأشجار، فتغسل الغابة بضوء ذهبي دافئ، بينما كانت الطيور تنثر ألحانها فوق الأوراق الخضراء. وفي أعلى شجرة بلوطٍ عتيقة، كان بيت صغير أنيق، تحيط به الزهور البرية، وتزين نافذته ستائر بيضاء ترفرف مع النسيم.

هناك كانت تعيش **أنثى السنجاب** مع صغيريها :**لوزة** و**بندق** .كانا مرحين، ذكيين، ويملآن البيت ضحكًا وأسئلة لا تنتهي.

وفي ذلك الصباح، ارتدت الأم حقيبتها الصغيرة، وربتت على رأسي طفليها، وقالت بابتسامة مطمئنة:

سأذهب قليلًا لأجمع بعض الجوز وأعود قبل الغروب. تذكرا وصيتي دائمًا: لا تفتحا الباب لأحد مهما قال، حتى لو ادعى أنه قريب أو صديق. الأمان يبدأ بالحذر، والثقة لا تُمنح إلا بعد التحقق.

هز الطفلان رأسيهما بثقة، ورددا معًا:

لا نقلق يا أمي، سنحفظ وصيتك.

غادرت الأم، وبقي البيت هادئًا، إلا من صوت الريح وهي تداعب الأغصان.

لكن في مكان قريب، كان **الثعلب المكار همام** يراقب البيت بعينين تلمعان بالطمع. كان يعلم أن الأم خرجت، فابتسم ابتسامة خبيثة وقال في نفسه :

اليوم فرصتي. سأجرب كل الحيل حتى يفتح الصغيران الباب.

اقترب بخطوات هادئة، ثم طرق الباب.

دق... دق... دق...

قال الطفلان من الداخل :

من بالباب ؟

غيّر الثعلب صوته ، وقال متصنعًا اللطف :

أنا تيتة يا أولاد... ومعي كعكة عيد ميلاد... افتحوا يا أحلى أحفاد.

نظر بندق إلى أخته، ثم همس :

كلامه جميل... لكن صوته غريب.

اقتربت لوزة من الباب دون أن تفتحه، و قالت بثبات :

صوتك خشن... أنت الثعلب ! اذهب... اذهب يا كذاب. ما دامت ماما بالخارج، لن ندخل أبدًا أغراب.

عض الثعلب شفته غاضبًا، ثم ابتعد وهو يتمتم :

لا بأس... لدي حيلة أخرى.

بعد دقائق عاد مرة ثانية.

دق... دق... دق...

من بالباب ؟

قال بصوت مختلف :

أنا جدو... ومعي هدايا... وحلوى رائعة للغاية... أنتم في أمنٍ وحماية.

ابتسم بندق قليلًا، لكنه تذكر كلمات أمه.

قالت لوزة بحزم :

لو كنت جدي فعلًا ، لعرفنا صوتك .أنت الثعلب. اذهب يا كذاب . لن نفتح الباب.

اشتد غضب الثعلب، لكنه لم يستسلم.

قال لنفسه :

الأطفال يحبون اللعب... سأخدعهم من هذا الباب.

عاد للمرة الثالثة.

دق... دق... دق...

من بالباب ؟

قال بصوت مرح :

أنا بائع الألعاب ! كلها هدايا مجانية ! افتحوا الباب يا أصحاب.

قفز بندق من الفرح و قال :

ألعاب مجانية !

لكن أخته أمسكت بيده و قالت :

الهدايا التي تأتي من الغرباء ليست دائمًا هدايا .أمي قالت إن المخادع يزين كلماته كما يزين الصياد فخه.

ثم رفعت صوتها :

صوتك خشن... أنت الثعلب. اذهب... لن نفتح الباب.

بدأ الثعلب يفقد صبره، لكنه فكر في حيلة أخيرة.

قال :

سأجعلهم يشتاقون إلى اللعب.

اقترب للمرة الرابعة.

دق... دق... دق...

من بالباب ؟

قال :

أنا عمكما. هيا نخرج معًا. سنقضي وقتًا ممتعًا. سنذهب إلى السيرك، ونشاهد المهرج، ونأكل الحلوى.

نظر بندق إلى أخته و قال :

كم أتمنى أن أذهب إلى السيرك !

لكن لوزة ابتسمت و قالت :

إذا كنت عمي حقًا ، فلا بد أنك تعرف صديقنا الوفي.

ثم صاحت :

هل تسمح أن نصطحب كلب الحراسة معنا ؟

وفجأة انطلق صوت الكلب من الفناء :

هاو... هاو... هاو...

ارتبك الثعلب ، وقفز إلى الخلف ، وارتعد صوته.

قال مذعورًا :

لا... لا... أبعدوا الكلب !

ضحك الطفلان معًا و قالا :

هاهاها...

عرفناك أيها الثعلب. لو كنت عمنا لما خفت من كلب يعرفك.

ثم قالا بصوت واحد :

ما دامت ماما بالخارج ، فلن نفتح الباب. اذهب أيها الكذاب.

انطلق الثعلب هاربًا بين الأشجار ، وهو يجر أذيال الخيبة.

وبعد قليل ، عادت الأم تحمل سلة مليئة بالجوز والبندق.

استقبلها الصغيران بالأحضان ، ورويا لها كل ما حدث.

ابتسمت الأم بفخر، و قالت :

اليوم لم تحميا نفسيكما فقط ، بل أثبتما أن العقل الواعي أقوى من المكر ، وأن الطاعة المبنية على الفهم تصنع أبطالًا صغارًا.

جلست الأسرة حول المائدة، وأخذت الأم تحدثهما عن أن الحياة ليست كلها وجوهًا صادقة، وأن بعض الناس قد يختبئون خلف كلمات جميلة أو هدايا براقة أو وعود جذابة، لكن الإنسان الحكيم لا يحكم على الآخرين بالمظاهر، بل يتحقق، ويسأل، ويتأنى قبل أن يثق.

قالت لوزة :

الآن فهمت لماذا كانت أمي تكرر الوصية كل يوم.

و أضاف بندق :

كنت أظن أن الحذر خوف، لكني اكتشفت أنه شجاعة.

ابتسمت الأم و قالت :

الشجاع ليس من يفتح كل باب، بل من يعرف أي باب يستحق أن يُفتح.

وفي الأيام التالية، أصبحت قصة الصغيرين حديث الغابة كلها. كانت الأمهات يروينها لأطفالهن ، والمعلمون يحكونها في المدرسة، حتى صار الجميع يردد :

الكلمة الطيبة جميلة ، لكن لا تكفي وحدها. والهدية قد تخفي خدعة. أما العقل الواعي، فهو الحارس الذي لا ينام.

ولم تعد لوزة وبندق يكتفيان بحفظ وصية أمهما، بل أصبحا يشرحانها لأصدقائهما، ويضربان لهم أمثلة من الحياة.

فكما لا يفتح الطفل باب المنزل لغريب، كذلك لا ينبغي أن يفتح قلبه أو أسراره لمن لا يعرفه. وكما أن الثعلب حاول أن يخدع بكلمات جميلة، قد يحاول بعض الغرباء في الواقع استدراج الأطفال برسائل على الهاتف، أو عبر الألعاب الإلكترونية، أو بهدايا ووعود كاذبة. لذلك فإن الاستئذان من الوالدين، وإخبارهما بكل ما يثير الشك، هو الطريق الآمن.

لقد انتصر الصغيران، لا لأنهما كانا أقوى من الثعلب، بل لأنهما كانا أكثر وعيًا.

وهكذا أدركا أن أجمل هدية يمنحها الآباء لأبنائهم ليست لعبة ولا قطعة حلوى، بل عقلًا يفكر، وقلبًا يميز بين الصواب والخطأ، ونفسًا تعرف أن الوقاية خير من الندم.

ومنذ ذلك اليوم، كلما سُمع في الغابة صوت :

دق... دق... دق...

ابتسم الجميع، وتذكروا أن الباب الذي يحرسه الوعي ، لا يستطيع المكر أن يفتحه أبدًا.

الثعلب همام الماكر واللقلق الذكي
كما تدين تُدان

في كل صباح ، كانت الشمس ترسل خيوطها الذهبية لتوقظ الغابة برفق ، فتتراقص أوراق الأشجار على أنغام النسيم، وتغرد العصافير كأنها جوقة صغيرة تعلن بداية يوم جديد. وكانت الحيوانات تخرج من بيوتها وهي تحمل آمالها البسيطة، فمنها من يبحث عن رزقه، ومنها من يساعد جيرانه، ومنها من يستمتع بجمال الطبيعة.

لكن خلف هذا الجمال، كانت الحياة تخبئ درسًا جديدًا ، لأن الغابة، مثل الحياة تمامًا، لا تجمع الطيبين وحدهم، بل يعيش فيها الصادق والمخادع، الكريم والأناني، والحكيم والمتكبر. فكل قلب يحمل ما زرع فيه، وكل سلوك يترك أثرًا يعود إلى صاحبه يومًا ما.

وكان أشهر سكان الغابة ثعلب عُرف بسرعة بديهته وحسن حديثه. كان يعرف كيف يكسب إعجاب من يقابله بكلماته المنمقة وابتسامته الهادئة، حتى يظنه الجميع لطيفًا ومحبًا للخير. غير أن قلبه كان يخفي حبًا للمكر، وكان يرى أن التفوق على الآخرين بالحيلة نوع من الذكاء يستحق الفخر.

كان يقول في نفسه :

إذا استطعت أن أخدع غيري ، فهذا يعني أنني أذكى منهم.

ولم يكن يدرك أن الذكاء الذي يخلو من الأخلاق يتحول إلى عبء على صاحبه ، وأن الاحترام لا يُبنى بالحيل، بل بالصدق والإحسان.

وعلى ضفة النهر ، حيث تنعكس السماء على صفحة الماء الصافية ، كان يعيش لقلق هادئ الطباع، طويل القامة، رقيق القلب ، قليل الكلام ، كثير التأمل. لم يكن يرفع صوته، ولا يسخر من أحد، وكان يؤمن أن الأخلاق الجميلة هي اللغة التي يفهمها الجميع.

كان يساعد الطيور الصغيرة إذا تعبت ، ويشارك الحيوانات ما يجد من طعام ، و يقول دائمًا :

ما أجمل أن يترك الإنسان خلفه أثرًا طيبًا ، فالكلمات قد تُنسى ، أما المواقف فلا تُنسى.

وذات صباح ، بينما كان اللقلق يتجول بين الأشجار ، التقى الثعلب الذي اقترب منه مبتسمًا و قال :

يا صديقي العزيز ، لقد طال غيابك عن منزلي ، وأود أن تشرفني الليلة على مائدة العشاء.

فرح اللقلق بهذه الدعوة ، وظن أن الثعلب يرغب في توثيق صداقتهما ، فشكره بلطف ، و وعده بالحضور.

ومع غروب الشمس ، اتجه اللقلق إلى بيت الثعلب. كان المنزل مرتبًا، ورائحة الحساء الساخن تعبق في المكان، حتى ظن اللقلق أنه سيقضي أمسية جميلة.

استقبله الثعلب بحفاوة مصطنعة ، ثم أحضر طبقين واسعين مسطحين، وصب فيهما الحساء اللذيذ.

جلس الثعلب وبدأ يلعق الحساء بسرعة ، أما اللقلق فحاول أن يقترب من الطبق ، لكن منقاره الطويل لم يستطع أن يلتقط شيئًا.

حاول مرة... ثم مرة أخرى... ثم ثالثة... لكن دون جدوى. وفي كل مرة ، كان الثعلب يختلس النظرات إليه ، حتى ظهرت على وجهه ابتسامة ساخرة لم يستطع إخفاءها.

ثم قال متظاهرًا بالبراءة :

ما بك يا صديقي ؟ ألا يعجبك الطعام ؟

ابتسم اللقلق رغم شعوره بالحزن ، و قال بهدوء :

الطعام شهي ، ولكن لكل مخلوق طريقة تناسبه في تناوله.

أنهى الثعلب طعامه ، بينما غادر اللقلق المنزل وهو لا يزال جائعًا ، لكن الجوع لم يكن أكثر ما يؤلمه ، بل شعوره بأن صديقًا استغل اختلافه ليسخر منه.

وفي طريق عودته ، كانت النجوم تلمع في السماء ، وكأنها تدعوه إلى التأمل.

قال في نفسه :

كم هو مؤلم أن يشعر المرء بالعجز أمام من كان ينتظر منه الاحترام. لكن الرد بالغضب لا يصنع إنسانًا أفضل ، أما التربية الحكيمة فقد تغيّر قلبًا كاملًا.

ظل يفكر أيامًا، حتى خطرت له فكرة تحمل درسًا لا انتقامًا. وبعد عدة أيام ، أرسل إلى الثعلب يدعوه إلى تناول العشاء في منزله.

فرح الثعلب كثيرًا ، و قال و هو يضحك :

ها هو صديقي يرد لي الجميل.

و لم يخطر بباله أن الحياة تستعد لتريه صورة من أفعاله.

وصل الثعلب إلى بيت اللقلق ، فوجده بسيطًا ونظيفًا، تحيط به الأزهار البرية، ويملؤه هدوء مريح.

رحب به اللقلق بكل احترام ، ثم أحضر إناءين طويلين ضيقي الفوهة، تفوح منهما رائحة اللحم المطهو.

أدخل اللقلق منقاره الطويل بسهولة ، وبدأ يتناول طعامه في هدوء.

أما الثعلب ، فقد اقترب من الإناء ، وحاول أن يدخل فمه فيه ، لكنه لم يستطع. حاول أن يدفع الإناء بقدمه. ثم حاول أن يمد لسانه. ثم دار حول الإناء مرة بعد أخرى. لكن كل محاولاته باءت بالفشل.

وبدأ الجوع يزداد، بينما أخذت ملامح الخجل ترتسم على وجهه.

رفع رأسه ، فرأى اللقلق ينظر إليه بابتسامة هادئة ، لا تحمل سخرية ، ولا شماتة ، ولا رغبة في الانتقام.

قال اللقلق بلطف :

يا صديقي ، لقد قدمت الطعام بالطريقة التي تناسبني ، كما قدمته لي من قبل بالطريقة التي تناسبك.

ساد الصمت.

ولأول مرة، لم يجد الثعلب كلمة يرد بها. شعر بما شعر به اللقلق في ذلك اليوم. أحس بطعم الإحراج. وأدرك أن المزاح الذي يجرح الآخرين ليس مزاحًا ، وأن اختلاف الناس ليس سببًا للسخرية ، بل دعوة إلى التفهم والاحترام.

خفض رأسه و قال بصوت امتزج فيه الندم بالصدق :

لقد كنت أظن أنني ذكي ، لكنني اكتشفت اليوم أنني كنت أنانيًا. سامحني يا صديقي ، فقد أخطأت في حقك.

ابتسم اللقلق و قال :

الاعتذار لا يصغر الإنسان ، بل يرفعه. وأجمل الناس من يتعلم من خطئه قبل أن يكرره.

كانت تلك الكلمات أعمق من أي عقاب. دخلت إلى قلب الثعلب كما تدخل قطرة المطر إلى الأرض العطشى.

ومنذ ذلك اليوم، بدأ الثعلب رحلة جديدة مع نفسه. صار يسأل ضيوفه :

ما الطعام الذي يناسبكم ؟

وأصبح يهيئ لكل ضيف ما يجعله يشعر بالراحة والاحترام.

لم يعد يفتخر بالمكر ، بل صار يفتخر بأنه استطاع أن يغيّر نفسه.

وكان كلما رأى حيوانًا صغيرًا يختلف عن غيره، تذكر ذلك الطبق المسطح، وذلك الإناء الطويل، فيبتسم و يقول :

ليس المهم أن أقدم ما يعجبني أنا ، بل ما يناسب من أمامي.

ومع مرور الأيام، تغيرت صورته في الغابة. فبعد أن كانت الحيوانات تخشاه ، أصبحت تحترمه. وبعد أن كانت تحذر من حيله ، أصبحت تستشيره في المشكلات ، لأنه تعلم أن يستخدم ذكاءه في الإصلاح لا في الإفساد.

وذات يوم، اجتمع عدد من صغار الحيوانات حوله يسألونه عن سر تغيره.

قال لهم :

كنت أظن أن القوة في أن أربح المواقف ، ثم اكتشفت أن القوة الحقيقية في أن أربح القلوب.

و أضاف :

إذا جعلت ذكاءك وسيلة لإسعاد الآخرين ، أحبك الجميع ، أما إذا جعلته وسيلة لإحراجهم، بقيت وحيدًا مهما صفق الناس لحيلك.

وكان اللقلق يستمع من بعيد ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة رضا.

فقد أدرك أن التربية لا تعني الانتقام، وإنما تعني أن نوقظ الضمير حتى يقود صاحبه إلى التغيير بإرادته. وهذا ما يحتاجه الإنسان في حياته كل يوم.

فكم من طفل يسخر من زميله لأنه يتحدث ببطء ، أو لأنه لا يجري بسرعة، أو لأنه يختلف عنه في شكله أو ظروفه. لكنه ينسى أن لكل إنسان قصة لا يعرفها ، وأن الاحترام يبدأ عندما نضع أنفسنا مكان الآخرين.

وفي المدرسة ، لا يكون المعلم المتميز هو من يشرح بالطريقة نفسها للجميع ، بل من يعرف أن طلابه يختلفون في قدراتهم ، فينوع أساليبه ، ويمنح كل واحد فرصة تناسبه ، فيشعر الجميع بأن لهم مكانًا وقيمة.

وفي الأسرة ، ينجح الوالدان عندما يعدلان بين أبنائهما، لا بالمساواة الجامدة ، بل بمراعاة احتياجات كل واحد منهم. فقد يحتاج أحد الأبناء إلى التشجيع، بينما يحتاج الآخر إلى الاحتواء، ويحتاج ثالث إلى الثقة. فالعدل الحقيقي هو أن يحصل كل إنسان على ما يعينه على النجاح.

وفي المجتمع أيضًا ، نرى الموظف الذي يحترم كبار السن ، و الطبيب الذي يشرح لمريضه بلغة بسيطة ، وسائق الحافلة الذي ينتظر طفلًا يعبر الطريق بأمان، والمعلم الذي يشجع الطالب الخجول على المشاركة. هذه المواقف الصغيرة قد تبدو عادية، لكنها تبني مجتمعًا أكثر رحمة وإنسانية.

لقد تعلم الثعلب أن الضحكة التي تُبنى على إحراج الآخرين قصيرة العمر، أما الكلمة الطيبة فتبقى في الذاكرة سنوات طويلة. وتعلم أن الذكاء الحقيقي ليس في اكتشاف نقاط ضعف الناس، بل في مساعدتهم على تجاوزها. وتعلم أن أجمل القلوب هي التي تتسع لاختلاف الآخرين، فلا تقيس الناس بما يناسبها هي، بل بما يحتاجون إليه هم.

وهكذا أصبحت الغابة أكثر دفئًا ، لأن حيوانًا واحدًا غيّر نفسه، فانتقل أثر ذلك إلى من حوله.

ولم تعد الحيوانات تردد قصة الطبق المسطح والإناء الطويل على أنها حكاية طريفة ، بل أصبحت تحكيها لأبنائها بوصفها درسًا في الاحترام والرحمة والعدل.

وكانت الحكمة التي بقيت تتردد بين الأشجار مع كل صباح :

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك ، وراعِ اختلافهم كما تحب أن يراعي الآخرون اختلافك.

فالأخلاق ليست كلمات تُقال، بل أفعال تُرى، والرحمة ليست ضعفًا، بل قوة تهذب القلوب ، والعدل لا يعني أن نقدم الشيئ نفسه للجميع، بل أن نقدم لكل إنسان ما يحتاج إليه ليشعر بالكرامة والاحترام.

وهكذا انتهت حكاية الثعلب همام الماكر واللقلق الذكي، لكن رسالتها بقيت حيّة في كل بيت ومدرسة و مجتمع : من يزرع الخير يحصد المحبة، ومن يزرع الأذى يعود إليه أثره، ولذلك صدق الحكماء حين قالوا :**كما تدين تُدان.**

الثعلب همام والببغاء المرح

في صباحٍ ربيعيٍّ صافٍ ، كانت الغابة تلمع كأنها خرجت للتو من حلم جميل. الأشجار باسقة، والنسيم رقيق، والأغصان تتمايل كأنها تصغي إلى أغنية خفية. وعلى غصنٍ عالٍ، وقفت الببغاء متباهية بألوانها الزاهية. كانت تُصفّف ريشها بيدٍ، وتفرد جناحيها بيدٍ أخرى، ثم ترفع رأسها في كبرياء وتقول في نفسها: ما أجملني! لا بد أنني أجمل طائر في هذه الغابة كلها.

كانت تغني بصوتٍ عالٍ ، وتلتفت إلى ما حولها كأنها تنتظر أن يصفق لها كل مَن في المكان. ولم تكن الببغاء سيئة القلب، لكنها كانت مغرورة، وقد جعلها جمالها تنسى أن الجمال نعمة، وأن النعمة تحتاج إلى تواضع حتى تزداد حسنًا.

وفي ذلك الوقت كان الثعلب يجوب الغابة جائعًا ، يفتش عن فريسة تُشبع بطنه وتطفئ نار جوعه. كان ماكرًا، يعرف كيف يبتسم عندما يخطط، وكيف يلين صوته حين يريد أن يخدع. توقّف تحت الشجرة، ورفع عينيه إلى الببغاء، ثم قال في نفسه: هذه وجبة سهلة إن استطعت أن أنزلها من مكانها.

فكر الثعلب قليلًا، ثم ابتكر حيلةً خبيثة. قرر أن يتظاهر باللطف، وأن يملأ أذن الببغاء بكلمات المديح ، لأن من يغترّ بكثرة الثناء قد يخطو بنفسه إلى الخطر، وهو لا يشعر.

اقترب الثعلب من الشجرة، وجعل صوته هادئًا ناعمًا، وقال :

صباح الخير أيتها الببغاء الجميلة ، ما أبهى ألوانك ! وما أرق حركتك ! لقد جئت اليوم في أروع هيئة رأيتها في حياتي.

التفتت الببغاء نحوه ، ولمعت عيناها فرحًا. فقد أصاب كلامه قلبًا كان ينتظر المديح.

وقالت وهي ترفع رأسها أكثر :

شكرًا لك أيها الثعلب. أنا أعتني بجمالي كل يوم ، وأهتم بريشي وصوتي ، ولهذا أبدو بهذا البهاء.

ابتسم الثعلب ابتسامة صغيرة ، وأخفى خلفها خبثًا كبيرًا، ثم قال :

بل إنني لم أرَ في الغابة كلها طائرًا يضاهي جمالك. إن الحيوانات كلها لو رأتك ، لتعلمت منك معنى الأناقة.

كانت الكلمات تتسلل إلى قلب الببغاء مثل ماءٍ دافئ ، فشعرت أنها أصبحت مهمّة ، وأن الغابة لا تكتمل إلا بوجودها. وفي حفرةٍ صغيرة تحت الشجرة ، كان يعيش فأرٌ صغير ، شديد الانتباه ، يراقب ما يجري بعينين يقظتين. سمع كلام الثعلب ، وفهم من نبرة صوته أنه لا يريد خيرًا ، بل يريد فريسة سهلة.

تردد الفأر قليلًا ؛ فهو صغير الجسد ، ضعيف القوة ، لا يستطيع مواجهة الثعلب أو منعه بالقوة. لكنه لم يكن جبانًا ، بل كان يعرف أن الحكمة قد تنقذ أحيانًا ما لا تنقذه العضلات. فخرج بخفة من مخبئه ، واقترب من جذع الشجرة ، ثم همس بصوت خافت :

أيتها الببغاء ، لا تصدقيه. إنه يخدعك. يريد أن يجذبك إلى الأرض ليأكلك.

لكن الببغاء لم تُصغِ إليه. نظرت إليه من أعلى ، وقالت بلهجة فيها شيء من الغرور وشيء من الضيق :

اذهب من هنا أيها الفأر الصغير ، لستَ أكثر فهمًا مني. أنت فقط تغار من جمالي.

حزن الفأر لحظتها ، لأنه أراد لها الخير ، لكن الغرور جعلها لا ترى إلا ما يوافق هواها. ومع ذلك لم ييأس ، بل بقي قريبًا ، يراقب ، علّه يجد لحظة ينفع فيها بنصيحته.

أما الثعلب، فقد استغل ما حدث ، وزاد من حديثه المعسول ، وقال :

أرى أن الحيوانات كلها تحتاج إلى من يعلمها كيف تعتني بمظهرها. وما دمتِ أنتِ أبرعها في هذا ، فكيف لا تصبحين معلمة للجمال في الغابة ؟

تغير وجه الببغاء من فرط السرور ، ورفرفت بجناحيها فرحًا ، ثم سألت وهي تكاد لا تخفي نشوتها :

أحقًّا ؟ أأنا أستحق أن أعلّم غيري ؟

ردّ الثعلب بسرعة :

بل أنتِ الأجدر بذلك. بل ليتك تقيمين دروسًا لكل من يريد أن يتعلم منك. سوف يأتون من كل مكان، وسيحملون عنك الإعجاب والاحترام.

في تلك اللحظة، بدأ خيال الببغاء يعمل بسرعة. رأت نفسها في ذهنها كأنها واقفة وسط الغابة ، وحولها الحيوانات جميعًا : الغزال ، والأرنب ، والسنجاب ، وحتى الطيور الصغيرة، كلهم ينظرون إليها بإعجاب. تخيلت أنهم يصفقون لها ، ويطلبون منها النصيحة ، ويكتبون عنها الأغاني ، ويذكرون جمالها في كل مجلس.

قالت في نفسها :

يا لها من فكرة رائعة ! سأصبح مشهورة، وسيتحدث الجميع عني. لن يبقى في الغابة طائر إلا ويتمنى أن يكون مثلي.

وفي لحظةٍ من شرودها ، نسيت موضعها فوق الغصن. أخذت تميل بجناحيها وهي تتخيل المشهد ، وتضحك ، وتلتفت ، وتفرد ريشها ، ثم فقدت توازنها شيئًا فشيئًا. وكانت السعادة الكاذبة قد أغلقت أذنها عن كل تحذير ، وعينيها عن كل خطر.

فجأةً، انزلقت قدمها الصغيرة عن الغصن ، ومال جسدها إلى الأمام ، ثم سقطت. سقطت الببغاء من علوّها، وصاحت صرخةً صغيرة اخترقت سكون الصباح.

وفي تلك اللحظة نفسها، قفز الثعلب نحوها بسرعة البرق ، وقد كشّر عن أنيابه ، وظن أن صيده قد تمّ. لكن الفأر الصغير كان يقظًا ، وما إن رأى الخطر حتى صاح بأعلى صوته : انتبهِي! ارفعي جناحيكِ فورًا!

كان الصوت كجرس إنذار أيقظ الببغاء من غرورها. فتحت عينيها على الحقيقة ، وضربت جناحيها بقوة ، فارتفعت في الهواء في آخر لحظة ، ونجت من أنياب الثعلب. أما الثعلب ، فقد اصطدمت أنيابه بالفراغ، وبقي ينظر إليها وهي تبتعد سريعًا ، ثم هربت بين الأغصان العالية ، بعيدًا عن يده ومكرِه.

تجمد الثعلب مكانه لحظة ، ثم أدرك أن فكرته الخبيثة فشلت. أما الفأر ، فقد ابتسم ابتسامة صغيرة ؛ لأنه لم ينجح فقط في التحذير ، بل أثبت أن النية الطيبة قد تصنع فرقًا ، حتى لو كان صاحبها صغيرًا لا يُرى بسهولة.

هبطت الببغاء أخيرًا على غصنٍ آمن، وكان قلبها يخفق بقوة، وقد اختلط فيها الخوف بالخجل والندم. نظرت إلى الفأر بعينين مختلفتين عن قبل، لم تعد فيهما قسوة، بل صدق واعتراف.

وقالت بصوتٍ منخفض :

شكرًا لك يا صديقي. لقد كنتَ على حق ، وأنا لم أُحسن الاستماع إليك. غروري كاد يوقعني في الهلاك.

ردّ الفأر بلطف :

لا بأس. المهم أن نتعلّم. ليست المشكلة أن نخطئ ، بل أن نصرّ على الخطأ. النصيحة أحيانًا تأتي من أصغر منّا حجمًا ، لكنها تحمل نجاةً كبيرة.

أطرقت الببغاء رأسها ، وشعرت لأول مرة أن جمالها الحقيقي لا يكتمل بالريش الملون فقط، بل بالتواضع، وحسن الاستماع، واحترام الآخرين. وفهمت أن من يُفرط في الثناء على نفسه، قد يقع في فخٍّ من صوته هو. أما الثقة بالنفس فهي شيء جميل، لكنها حين تتحول إلى غرور، تصبح بابًا للزلل.

وانصرف الثعلب خائبًا ، يجرّ ذيل خديعته ، وقد فشل لأن الحيلة لم تُقابل بالجهل كله، بل بقي في الغابة من يرى ويحذر وينصح. وهكذا عادت الشمس تميل ببطء نحو الغروب، والغابة أكثر هدوءًا، كأنها تحفظ الدرس الذي حدث فيها ذلك الصباح.

تعلّمنا هذه القصة أن الغرور قد يعمي القلب عن الحقيقة ، وأن الإنسان أو الكائن مهما كان جميلًا أو ناجحًا، فإنه يحتاج إلى التواضع حتى يبقى جماله مقبولًا ومحبوبًا. فالجمال الخارجي لا يكفي وحده، لأن الجمال الحقيقي يجمع بين الشكل الحسن، والخلق الحسن، والعقل الحسن.

وتعلّمنا أيضًا أن المديح الزائد قد يكون فخًا، وأن الكلمات الجميلة ليست دائمًا صادقة. ففي حياتنا اليومية نرى أحيانًا من يبالغ في الثناء على شخصٍ ما، لا حبًا فيه، بل رغبةً في استغلاله. وهذا يحدث في المدرسة، وفي البيت، وفي الشارع، وحتى في عالم التواصل الاجتماعي. فقد يمدح أحدهم زميله ليأخذ منه سرًا، أو يبالغ شخصٌ في الإطراء حتى يطلب مصلحةً بعد قليل. ولهذا ينبغي أن نستمع بعقلنا، لا بأذنا فقط.

كما أن القصة تبرز قيمة النصيحة. فالفأر كان صغيرًا، لكنه كان عاقلًا. لم يمنعه صِغَرُ حجمه من أن يقول كلمة الحق. وفي حياتنا الواقعية كثيرًا ما يأتي الخير من شخص بسيط، من أم، أو معلم، أو صديق، أو أخٍ أصغر سنًا، لكننا لا ننتبه إليه بسبب الكبرياء. ومن الجميل أن نتعلم الإصغاء للناصح، لا النظر إلى مكانته فقط.

وتعلّمنا القصة قيمة التعاون أيضًا. فنجاة الببغاء لم تكن بفضلها وحدها، بل بفضل يقظة الفأر، وبفضل لحظة انتباهها الأخيرة. وهنا يظهر معنى مهم: إن الإنسان لا ينجو دائمًا بقوته وحدها، بل يحتاج إلى من يذكّره، وينبّهه، ويقف معه في اللحظة المناسبة.

من الناحية التربوية، يمكن فهم سلوك الببغاء على أنه مثال لطفل أو شخص أعجبه نفسه كثيرًا، فصار لا يسمع من حوله. وعندما يبالغ الإنسان في الاهتمام بالمظهر أو بالمدح، قد ينسى الجوهر. لذلك نحتاج في التربية إلى غرس ثلاث رسائل أساسية: أن الطفل جميل بأخلاقه قبل مظهره، وأن رأي الآخرين مهم، وأن النصح ليس إهانة بل حماية.

ولعل من أهم ما في القصة أن الفأر لم يواجه الخطأ بالعنف، بل بالحكمة. وهذا درس تربوي مهم في حل المشكلات؛ فليس كل خطر يحتاج إلى صدام، بل قد يحتاج إلى كلمة هادئة، أو تنبيه سريع، أو خطة ذكية. وفي المدارس والمنازل، كثيرًا ما تنجح الكلمة اللطيفة أكثر من التوبيخ، لأن النفس حين تُطمأن، تسمع أفضل.

مثال من الواقع

قد يحدث مثل هذا في حياتنا حين يقتنع طالب بأنه الأفضل دائمًا، فيترك المراجعة لأنه يثق بنفسه ثقة زائدة، ثم يتفاجأ بنتيجة ضعيفة. أو قد يقع شاب في فخ شخص يمدحه كثيرًا فقط ليستغله. وفي المقابل، قد ينجو آخر لأنه استمع لنصيحة صديق مخلص، أو لأمٍ عرفت الخطر قبل وقوعه. وهكذا تصبح القصة مرآة صغيرة لحياة كبيرة.

الثعلب في هذه الحكاية يمثل الخداع، والببغاء تمثل الغرور، والفأر يمثل الحكمة والصدق. وبين هذه الشخصيات الثلاث تتشكل الحياة كما نراها أحيانًا: خادع يحاول، ومغرور ينسى، ومخلص ينصح. لكن النهاية تُعلّمنا أن الخير قد ينتصر عندما نصغي للعقل، ونبتعد عن الغرور، ونحترم النصيحة.

وفي صباحٍ آخر، ربما عادت الببغاء إلى غصنها ذاته، لكنها لم تعد كما كانت. أصبحت أكثر هدوءًا، وأقل تباهيًا، وأكثر امتنانًا. أما الفأر، فظل صغيرًا في حجمه، كبيرًا في قيمته. لأن القيمة الحقيقية لا تقاس بالطول، ولا بالريش، ولا بالصوت العالي، بل بالوعي، والصدق، وحسن التصرف.

مهارة واحدة أنقذت الحياة

الثعلب و القط

كانت الغابة تستيقظ كل صباح على أصوات الطيور، وتتنفس نسائمها الهادئة بين الأشجار العالية. وكانت الحيوانات تبدأ يومها في البحث عن الطعام أو اللعب أو التعلم من تجارب الحياة. وفي تلك الغابة كانت تعيش قطة صغيرة، هادئة الطباع، قليلة الكلام، لكنها كثيرة التأمل. لم تكن تتباهى بنفسها، ولم تكن تحاول أن تقنع الآخرين بأنها الأفضل، بل كانت تؤمن أن قيمة الإنسان أو الحيوان لا تُقاس بكثرة الكلام، وإنما بما يفعله حين تأتي لحظة الاختبار.

وفي صباح مشرق، خرجت القطة تتجول بين الأشجار بدلال ، تتأمل جمال الطبيعة، وتراقب النمل وهو يحمل رزقه بصبر و تعاون، والعصافير وهي تبني أعشاشها فوق الأشجار . كانت تؤمن أن كل مخلوق يملك درسًا يستحق أن يُتعلَّم.

وبينما كانت تسير، رأت الثعلب يقترب بخطوات واثقة. كان مشهورًا في الغابة بذكائه وسرعة حيلته، حتى إن كثيرًا من الحيوانات كانت تتحدث عن دهائه، وبعضها كان يهابه، وبعضها الآخر يظن أنه لا يُهزم أبدًا.

ابتسمت القطة باحترام، وقالت بلطف :

صباح الخير يا سيدي الثعلب. كيف حالك ؟ وكيف تواجه صعوبات الحياة ؟ لا بد أنك تعلمت الكثير من الخبرات.

توقف الثعلب بكبرياء ، ونظر إليها نظرة امتلأت بالغرور. أخذ يتأملها طويلًا ، وكأنه يستغرب أن تتحدث إليه قطة صغيرة. ثم قال بنبرة متعالية :

ومن أنتِ حتى تسأليني ؟ يا صائدة الفئران الصغيرة، ماذا تعرفين عن الدنيا ؟ وهل تظنين أن خبرتك تشبه خبرتي ؟ لقد عشت سنوات طويلة ، وأتقنت من الحيل ما لا يستطيع غيري أن يعده.

خفضت القطة رأسها قليلًا ، ولم تغضب من كلماته ، ثم قالت بهدوء :

ربما يكون كلامك صحيحًا ، فأنا لا أعرف إلا شيئًا واحدًا.

ضحك الثعلب ساخرًا وقال : شيء واحد فقط؟ وما هو ؟

قالت القطة :

إذا لاحقتني كلاب الصيد، أقفز بسرعة إلى أعلى شجرة، فأحتمي بين أغصانها حتى يزول الخطر.

قهقه الثعلب بصوت مرتفع ، وقال :

يا لكِ من مسكينة ! أتسمين هذا مهارة ؟ أما أنا فأعرف مئة حيلة، وأملك خططًا لا تنتهي. أستطيع أن أضلل الصيادين، وأخدع الكلاب ، وأغير طريقي في كل لحظة. لو بقيتِ معي لأعلمتك فنون الهروب الحقيقية.

ابتسمت القطة ابتسامة هادئة، ولم تدخل معه في جدال. فقد كانت تعلم أن بعض الناس لا يتعلمون بالكلمات، بل بالمواقف.

وفي تلك اللحظة، قطع سكون الغابة صوت أبواق الصيد، ثم ظهر صياد يتقدم ومعه أربعة كلاب قوية، تشم الأرض وتقتفي الآثار بسرعة.

تغير وجه الثعلب فجأة، وبدأ ينظر في كل اتجاه. أخذ يفكر :

أي خطة أستخدم ؟ هل أختبئ ؟ أم أجري ؟ أم أعود إلى الجحر ؟ أم ألتف حول الصخور ؟

أما القطة، فلم تتردد لحظة واحدة. انطلقت بخفة و رشاقة ، وقفزت إلى جذع شجرة قريب ، ثم ارتفعت من غصن إلى آخر حتى وصلت إلى مكان كثيف الأوراق ، فاختفت تمامًا عن الأنظار.

ومن أعلى الشجرة نادت بصوت هادئ :

يا سيدي الثعلب، استخدم إحدى مهاراتك المئة، فأنت أدرى بها.

لكن كثرة الحيل أربكت الثعلب. كلما فكر في خطة ، تذكر خطة أخرى ، فضاع وقته بين التردد والتفكير. وفي ثوانٍ قليلة وصلت الكلاب إليه ، وأحاطت به من كل جانب ، فلم يجد طريقًا للنجاة.

وقفت القطة تنظر بحزن ، ولم تشعر بالشماتة، بل قالت بأسف :

يا سيدي الثعلب، لم تهزمك قلة الذكاء، وإنما هزمك الغرور. كانت لديك أفكار كثيرة ، لكنك لم تتقن مهارة واحدة تنقذك في وقت الحاجة.

ساد الصمت في الغابة بعد رحيل الصياد. وظلت كلمات القطة تتردد بين الأشجار، وكأن الطبيعة كلها تردد معناها.

ومنذ ذلك اليوم، بدأت الحيوانات تتحدث عن القصة بطريقة مختلفة. لم يعد أحد يعجب بكثرة الكلام أو كثرة الادعاءات ، بل صار الجميع يسأل : ما المهارة التي نتقنها حقًا ؟

اجتمع صغار الحيوانات حول القطة ، وسألها أحد الأرانب :

هل يكفي أن يعرف الإنسان شيئًا واحدًا فقط ؟

ابتسمت القطة وقالت :

لا ، علينا أن نتعلم كثيرًا ، لكن الأهم أن نتقن ما نتعلمه ، وأن نعرف كيف نستخدمه في الوقت المناسب. فالعلم بلا عمل مثل بذرة لم تُزرع ، والمهارة التي لا تُمارس تضيع عند أول اختبار.

قال السنجاب :

إذن ليس المهم أن أحفظ معلومات كثيرة ، بل أن أستفيد منها.

أجابت القطة :

بالضبط. انظروا إلى الطالب الذي يحفظ دروسه كلها ، لكنه لا يعرف كيف يحل سؤالًا بسيطًا وقت الامتحان ، وإلى طالب آخر فهم الدرس جيدًا ، فتغلب على الصعوبة بثقة. وانظروا إلى من يتحدث كثيرًا عن التعاون ، لكنه لا يساعد أحدًا عند الحاجة ، وإلى شخص بسيط يمد يده لكل محتاج ، فيصنع أثرًا جميلًا في حياة الناس.

وأضافت :

وفي حياتنا اليومية نرى أشخاصًا يملكون أحدث الأجهزة، لكنهم لا يحسنون استخدامها فيما ينفعهم ، بينما يحقق آخرون نجاحًا كبيرًا بإمكانات قليلة ؛ لأنهم أحسنوا استثمار ما لديهم. ونرى من يكثر من الوعود، فإذا جاءت المسؤولية تراجع ، بينما ينجز صاحب الكلمة الصادقة عمله بهدوء وإخلاص.

أخذت الحيوانات الصغيرة تستمع بإعجاب ، وأدركت أن التربية الحقيقية لا تصنعها كثرة الكلمات ، بل تصنعها المواقف ، وأن الإنسان القوي هو الذي يجمع بين التواضع والعلم والعمل.

وأصبحت القطة قدوة في الغابة ، ليس لأنها كانت الأقوى ، ولا لأنها كانت الأذكى ، بل لأنها عرفت قدر نفسها، ولم تتكبر على أحد، واستعدت دائمًا للمواقف قبل أن تقع.

أما قصة الثعلب، فقد بقيت درسًا تتناقله الأجيال ، يذكرهم بأن الغرور يعمي صاحبه عن رؤية الحقيقة ، وأن كثرة الادعاءات لا تنفع إذا خلت من الإتقان ، وأن النجاح لا يحتاج إلى مئة حيلة، بل يحتاج إلى علم نافع، ومهارة متقنة ، وعقل متواضع، وقلب يعرف أن التعلم رحلة لا تنتهي.

ليست قيمة الإنسان فيما يدّعي أنه يعرف ، بل فيما يحسن تطبيقه وقت الحاجة. فالتواضع يفتح أبواب التعلم ، والإتقان يصنع النجاح ، والاستعداد يسبق الإنجاز ، أما الغرور فإنه يحجب صاحبه عن رؤية نقاط ضعفه حتى يفاجئه أول اختبار. لذلك ، احرص دائمًا على أن تتعلم بصدق ، وأن تعمل بما تعلمت ، وأن تجعل أخلاقك ترافق علمك ، فبالعلم النافع والعمل الصالح تبنى الشخصية القوية ، ويصبح الإنسان مصدر خير لنفسه ولمجتمعه.

الثعلب همام والقنفذ وسام

عندما يكون الحل السريع... ليس أفضل الحلول

في صباحٍ ربيعيٍّ هادئ، كانت الشمس ترسل خيوطها الذهبية فوق الغابة، فتلمع قطرات الندى على أوراق الأشجار كأنها حبات لؤلؤ صغيرة. وكانت الطيور تغني ألحانًا عذبة، بينما تتحرك الحيوانات في نشاط، تبحث عن طعامها أو تلعب مع صغارها.

غير أن ذلك الصباح الجميل لم يكن سعيدًا بالنسبة إلى الثعلب همام .

كان همام ثعلبًا ذكيًا وسريع البديهة، لكنه كان أحيانًا يندفع في قراراته قبل أن يفكر فيها جيدًا. وفي ذلك اليوم، أراد أن يعبر النهر ليصل إلى الجانب الآخر من الغابة، حيث تنتشر أشجار التوت والتين، وتكثر الثمار الناضجة.

وقف أمام النهر، وتأمل المياه وهي تجري بقوة.

قال في نفسه :

لن يستغرق الأمر سوى دقائق. أنا سبّاح ماهر، وسأصل بسرعة.

قفز في الماء دون أن ينتظر حتى يهدأ التيار.

في البداية، سار كل شيء كما أراد، لكن فجأة اشتدت سرعة المياه، وظهرت دوامة قوية جذبته بعيدًا عن المكان الذي قصده.

صار الثعلب يقاوم بكل ما أوتي من قوة. يضرب الماء بيديه ... ويرفع رأسه ليلتقط أنفاسه ...لكن التيار كان أقوى منه.

وبعد جهد طويل، استطاع أخيرًا أن يصل إلى الضفة الأخرى، إلا أنه خرج متعبًا، وجسده مليء بالخدوش والكدمات، وأنفاسه متقطعة.

حاول أن يصعد إلى اليابسة، لكن الأرض كانت زلقة ومنحدرة، فانزلقت قدماه أكثر من مرة.

قال وهو يلهث : سأستريح قليلًا... ثم أواصل طريقي.

استلقى تحت شجرة صفصاف كبيرة، وأغمض عينيه من شدة التعب.

لكن الراحة لم تدم طويلًا. فقد لمحته أسراب من الذباب الماص للدماء. اقتربت منه بسرعة، وبدأت تحط على رأسه وأذنيه ورقبته، ثم راحت تمتص دمه.

كان الثعلب يشعر بالضيق، لكنه لم يكن قادرًا حتى على تحريك ذيله لطردها.

في تلك الأثناء، كان القنفذ وسام يسير ببطء بين الأعشاب، يبحث عن بعض الفطر والجذور.

كان وسام معروفًا بين حيوانات الغابة بحكمته وهدوئه، وكان يحب مساعدة الجميع.

وحين رأى الثعلب، أسرع نحوه قلقًا.

قال بصوت مليء بالعطف :

يا صديقي همام ! ماذا حدث لك ؟

فتح الثعلب عينيه بصعوبة، وقال :

لقد جرفني النهر، وكدت أغرق.

نظر القنفذ إلى أسراب الذباب التي تغطي رأس الثعلب، فهز رأسه بأسف.

قال : اصبر قليلًا، سأطرد هذه الحشرات المزعجة عنك.

لكن الثعلب رفع رأسه بسرعة وقال :

لا... أرجوك، لا تفعل.

توقف القنفذ مندهشًا.

وقال متعجبًا :

كيف ؟ إنها تؤذيك وتمتص دمك! أليس من الأفضل أن أتخلص منها ؟

ابتسم الثعلب ابتسامة صغيرة رغم ألمه.

ثم قال بهدوء : أنظر إليها جيدًا يا صديقي.

اقترب القنفذ قليلًا.

قال الثعلب : هل ترى كيف أصبحت بطيئة ؟

تأمل القنفذ الذباب، ثم قال : نعم... يبدو أنها لم تعد تتحرك بسرعة.

قال الثعلب : لأنها شربت حتى شبعت.

ازداد تعجب القنفذ.

فسأله : وما علاقة ذلك بتركها فوقك ؟

أجاب الثعلب : لو طردناها الآن، فسوف تأتي أسراب جديدة لم تشرب شيئًا بعد، وستكون أكثر جوعًا ونشاطًا، وستبدأ من جديد في لسعي وامتصاص دمي. أما هؤلاء فقد أخذوا ما يريدون، ولن يطيلوا البقاء.

جلس القنفذ يفكر في كلام صديقه. لم يكن يتوقع مثل هذا الجواب.

وبعد لحظات قال :

إذن... أنت تتحمل أذى صغيرًا حتى تتجنب أذى أكبر.

ابتسم الثعلب وقال : تمامًا.

ظل القنفذ صامتًا برهة ، ثم قال : لكن ألا يوجد حل أفضل من مجرد الانتظار ؟

أجاب الثعلب : بالتأكيد يوجد.

سأل القنفذ بحماس : وما هو ؟

قال الثعلب : أن أستعيد قوتي أولًا، ثم أبتعد عن هذا المكان كله.

هز القنفذ رأسه موافقًا.

وقال : إذن سأساعدك بطريقة أخرى.

جمع بعض الأوراق العريضة، ووضعها فوق رأس الثعلب لتخفف عنه حرارة الشمس. ثم أحضر له ماءً عذبًا في صدفة كبيرة، وشجعه على أن يشرب ببطء. وبعد ذلك جمع بعض الأعشاب الطبية التي تعرفها حيوانات الغابة، ووضعها برفق على خدوشه.

شعر الثعلب بالراحة شيئًا فشيئًا. ومرت دقائق قليلة.

ثم بدأت أسراب الذباب تغادر وحدها، بعدما امتلأت بطونها.

عندها وقف الثعلب بصعوبة.

وقال : الآن حان وقت الرحيل.

أسند القنفذ صديقه حتى وصلا إلى مكان مرتفع بعيد عن الماء ، حيث الهواء النقي والأرض الجافة.

جلس الثعلب تحت شجرة بلوط كبيرة. وهناك أخذ يستعيد نشاطه شيئًا فشيئًا.

وبينما كانا يستريحان، مرّ أرنب صغير يحمل سلة من الجزر.

نظر إلى الثعلب وقال : سمعت أنك تركت الذباب فوقك بإرادتك! أليس هذا غريبًا؟

ابتسم الثعلب وقال : ليس كل ما يبدو غريبًا يكون خطأ.

اقترب الأرنب أكثر.

فسأله : كيف ذلك ؟

قال الثعلب : عندما نواجه مشكلة، لا ينبغي أن نسأل فقط: كيف نتخلص منها بسرعة ؟ بل ينبغي أن نسأل أيضًا: ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

أطرق الأرنب برأسه وهو يفكر.

ثم قال : إذن علينا أن نفكر في نتائج أفعالنا، لا في لحظتها فقط.

ابتسم القنفذ وقال : هذا هو التفكير الحكيم.

وفي الأيام التالية، انتشرت قصة الثعلب والقنفذ بين حيوانات الغابة. وكانت الحيوانات كلما واجهت مشكلة، تذكرت تلك الحادثة.

فالقرد لم يعد يقفز قبل أن يتأكد من متانة الغصن. والسنجاب صار يجمع طعام الشتاء قبل أن يحل البرد. وصغار الأرانب تعلموا أن الحل السريع ليس دائمًا الحل الصحيح.

أما الثعلب، فقد تعلم درسًا لن ينساه أبدًا.

فمنذ ذلك اليوم ، لم يعد يندفع قبل أن يدرس الطريق جيدًا، وأصبح أكثر صبرًا، وأكثر قدرة على التفكير في عواقب قراراته.

وكان كلما رأى النهر، وقف قليلًا يتأمله، ثم يبتسم ويقول : الشجاعة جميلة...

لكن الحكمة هي التي تقود الشجاعة إلى برّ الأمان.

وهكذا أدركت حيوانات الغابة أن الذكاء الحقيقي لا يظهر في سرعة التصرف فقط، بل في حسن تقدير النتائج، وأن الإنسان أو الحيوان الحكيم قد يختار أحيانًا احتمال أذى صغير، إذا كان ذلك يمنع وقوع ضرر أكبر.

ومنذ ذلك الحين، صار القنفذ والثعلب يحكيان قصتهما للصغار، ويؤكدان لهم أن التفكير الهادئ، والصبر، والنظر في العواقب، مفاتيح لاتخاذ القرارات الوسام ة، وأن الخير لا يكون دائمًا في أول حل يخطر ببالنا، بل في الحل الذي يجمع بين الرحمة والحكمة وبعد النظر.

ليس كل حل سريع هو أفضل حل، فالحكمة تدعونا إلى التفكير في عواقب أفعالنا قبل اتخاذ القرار ، وأن نختار دائمًا ما يقلل الضرر ويحقق الخير على المدى البعيد.

الثعلب والكلب والديك
رحلة الصداقة التي علّمت الجميع معنى الحذر

في صباحٍ هادئ، كانت الشمس ترسل خيوطها الذهبية بين أشجار الغابة، فتوقظ الطيور بأغانيها العذبة، وتداعب أوراق الأشجار التي كانت ترقص مع نسمات الهواء. كانت الغابة تبدو كأنها لوحة مرسومة بألوان الطبيعة، يملؤها السلام والطمأنينة.

وسط هذه الغابة عاش **كلبٌ وفيّ** اسمه حارس، عُرف بين الحيوانات بإخلاصه وشجاعته، وكان له صديق لا يفارقه، **ديكٌ ذكي** اسمه فجر. لم يكن يجمعهما المكان فقط، بل جمعتهما المحبة والثقة والتعاون. كانا يتقاسمان الطعام، ويتبادلان الحديث، ويساعد كل واحد منهما الآخر عند الحاجة.

وفي أحد الأيام، جلس الصديقان فوق تلٍ صغير يطل على الغابة. ظل الديك ينظر إلى الأفق البعيد وقال بحماس :

يا صديقي، كم أتمنى أن أرى العالم خارج غابتنا ! أريد أن أتعرف إلى أماكن جديدة وأتعلم أشياء لم أرها من قبل.

ابتسم الكلب وقال بهدوء :

السفر يعلمنا الكثير ، لكنه يحتاج إلى الحكمة والحذر. إذا ذهبنا معًا فلن نفترق أبدًا.

هز الديك رأسه موافقًا، واتفق الصديقان على الانطلاق مع أول خيط من نور الصباح.

+

مع شروق الشمس، حملا ما يحتاجان إليه من طعام وماء، وودعا أصدقاءهما في الغابة، ثم انطلقا في رحلتهما.

كان الطريق مليئًا بالمشاهد الجميلة. شاهدا بحيرات صافية تعكس لون السماء، وأزهارًا ملونة تفوح منها روائح زكية، وفراشات تطير في كل اتجاه، وعصافير تبني أعشاشها بكل نشاط.

وفي أثناء سيرهما، شاهدا مجموعة من النمل تعمل في صفوف منتظمة، تحمل الطعام إلى مساكنها الصغيرة.

قال الكلب :

انظر يا فجر، ما أجمل التعاون! كل واحدة منها تقوم بدورها دون أن تتكاسل.

أجاب الديك مبتسمًا :

حقًا، النجاح يبدأ عندما يعمل الجميع معًا.

ثم واصلا السير حتى التقيا بسنجاب يجمع حبات الجوز.

قال السنجاب :

أجمع طعامي اليوم حتى أكون مستعدًا للغد.

ابتسم الكلب وقال :

الاستعداد للمستقبل عادة جميلة.

تعجب الديك من كل درس يتعلمه في الطريق، وأدرك أن الرحلة ليست للمشاهدة فقط، بل لاكتساب الخبرة أيضًا.

+

ومع اقتراب المساء ، بدأت السماء ترتدي ثوبًا برتقاليًا جميلًا، وأخذت الشمس تغيب ببطء خلف الجبال.

قال الكلب :

لقد تعبنا كثيرًا ، لنبحث عن مكان آمن لنقضي فيه الليل.

وجدا شجرة كبيرة ذات أغصان قوية وظلال واسعة.

قال الديك :

سأنام فوق أحد الأغصان حتى أراقب المكان من الأعلى.

و قال الكلب :

وسأنام عند جذع الشجرة ، فإذا احتجت إلى شيء فسأكون قريبًا منك.

اطمأن الصديقان ، وأغمضا أعينهما، بينما كانت النجوم تزين السماء، والقمر يرسل نوره الفضي على الغابة الهادئة.

+

وقبل أن تشرق الشمس بقليل، استيقظ الديك كعادته، ونشر جناحيه، ثم أطلق صياحه الجميل الذي أعلن بداية يوم جديد.

لكن هذا الصوت وصل إلى أذنين لم يكنتا تحملان الخير.

ففي جحر بعيد قليلًا، كان يعيش **ثعلبٌ ماكر** اشتهر بين الحيوانات بالخداع والحيل.

فتح الثعلب عينيه و قال مبتسمًا :

هذا ليس مجرد صوت... إنه صوت ديك ! منذ زمن طويل لم أتذوق وجبة شهية كهذه.

خرج الثعلب بخطوات هادئة ، وأخذ يقترب من الشجرة دون أن يشعر به أحد.

ولما وصل، رفع رأسه و قال بلطف مصطنع :

صباح الخير أيها الديك الجميل ! ما أجمل صوتك ! لقد ملأ الغابة فرحًا.

شكره الديك بأدب ، لكنه بقي متيقظًا.

سأل الثعلب :

من أين أتيت ؟

أجاب الديك :

أنا وصديقي الكلب في رحلة نتعرف فيها إلى العالم.

نظر الثعلب إلى الكلب النائم وقال متظاهرًا بالإعجاب :

يا لكما من صديقين رائعين ! يسعدني أن أساعدكما.

وفي تلك اللحظة ، فتح الكلب عينيه ، فقد كان نومه خفيفًا ، ولاحظ نظرات الثعلب الماكرة.

قال الثعلب وهو يبتسم :

أعرف طريقًا يؤدي إلى بستان مليء بالفواكه ، وأنهارٍ عذبة، وأماكن جميلة جدًا. تعاليا معي، وسأكون دليلكما.

نظر الكلب إلى الديك، ثم قال بهدوء :

نشكر لك لطفك، ولكننا نفضل أن نكمل رحلتنا بأنفسنا.

لم يستسلم الثعلب ، بل اقترب أكثر و قال :

لماذا لا تثقان بي ؟ أنا أريد مساعدتكما فقط.

هنا همس الكلب في أذن صديقه :

يا فجر ، ليست كل الكلمات الجميلة صادقة. أحيانًا يختبئ الخداع خلف الابتسامة.

فهم الديك الرسالة ، لكنه أراد أن يتأكد من نوايا الثعلب.

فقال له :

إذا كنت صديقًا حقًا ، فانتظر قليلًا حتى أنادي حراس هذه المنطقة ليأتوا ويرحبوا بك.

ارتبك الثعلب وسأل بسرعة :

حراس ؟ أي حراس ؟

أجاب الديك بثقة :

هناك كلاب قوية تحرس هذا المكان، وستسعد بالتعرف إليك.

وما إن سمع الثعلب كلمة **الكلاب** حتى تغير لون وجهه، وارتجفت قدماه، وأدار ظهره، ثم ركض بأقصى سرعته و هو يقول :

لا... لا حاجة لذلك ! سأعود في وقت آخر.

ظل الكلب والديك ينظران إليه حتى اختفى بين الأشجار، ثم انفجرا ضاحكين.

قال الديك :

لقد أنقذتنا حكمتك يا صديقي.

ابتسم الكلب و قال :

العقل الهادئ يرى ما لا تراه العيون المتسرعة.

بعد ذلك واصل الصديقان رحلتهما، لكنهما أصبحا أكثر انتباهًا لكل من يقابلانه.

وفي الطريق، شاهدا أرنبًا صغيرًا يقف حائرًا عند مفترق الطرق.

اقتربا منه وسألاه عن سبب حزنه.

قال الأرنب :

أخبرني حيوان غريب أن أسلك هذا الطريق المختصر، لكنني لم أشعر بالاطمئنان.

ابتسم الكلب و قال :

أحسنت عندما لم تتسرع.

و أضاف الديك :

قبل أن نتبع نصيحة أي شخص ، علينا أن نعرفه جيدًا ، وأن نفكر بعقولنا.

شكَر الأرنب صديقيه، وعاد معهما إلى الطريق الآمن.

وفي أثناء الرحلة ، أدرك الجميع أن الحذر لا يعني الخوف من الناس، بل يعني استخدام العقل ، والتأكد من صدق النوايا قبل منح الثقة.

+

وعندما انتهت الرحلة ، عاد الكلب والديك إلى غابتهما وهما يحملان ذكريات جميلة ودروسًا لا تُنسى.

اجتمعت الحيوانات حولهما لتستمع إلى ما حدث ، فرويا قصتهما، وكيف أن الصداقة الحقيقية، واليقظة، والتفكير قبل اتخاذ القرار، كانت سببًا في نجاتهما.

قال الكلب للحيوانات :

قد يقابل الإنسان في حياته أشخاصًا يبدون لطفاء، لكن اللطف الحقيقي يظهر في الأفعال، لا في الكلمات وحدها.

وأضاف الديك ومن يملك عقلًا يفكر، وقلبًا صادقًا، وصديقًا مخلصًا، يستطيع أن يتجاوز أصعب المواقف.

نامت الغابة تلك الليلة في هدوء، بينما ظل القمر يضيء الأشجار، وكأن الطبيعة كلها تبتسم لصديقين عرفا أن أجمل رحلة هي التي يعود منها الإنسان أكثر حكمةً، وأصدق قلبًا، وأقوى إرادة.

و تعلمت جمع الحيوانات:

- الصديق الصالح نعمة كبيرة ، فهو ينصح ويحمي ولا يترك صديقه وقت الشدة.

- ليس كل من يتحدث بلطف يريد الخير ، لذلك يجب أن نفكر قبل أن نثق بالغرباء.
- استخدام العقل والتأمل قبل اتخاذ القرار يحمي الإنسان من الوقوع في الخطأ.
- التعاون بين الأصدقاء يجعل مواجهة المشكلات أسهل.
- الأدب وحسن الخلق لا يعنيان السذاجة ، بل يمكن للإنسان أن يكون مهذبًا وفي الوقت نفسه حذرًا.
- في حياتنا اليومية قد يحاول شخص مجهول إقناع الطفل بالذهاب معه أو قبول هدية منه، وهنا يجب أن يتذكر أن يستأذن والديه أو معلميه، وألا يتبع أي شخص لا يعرفه مهما كانت كلماته جميلة، فالحذر سلوك يحفظ الأمان ولا يمنع اللطف.

الثعلب همام والخنزير البري

في صباحٍ ربيعيٍّ جميل ، كانت أشعة الشمس الذهبية تتسلل بين أغصان الأشجار العالية، فتزين الغابة بلمساتٍ دافئة، بينما كانت قطرات الندى تتلألأ فوق أوراق العشب كأنها حبات لؤلؤ صغيرة. غرّدت العصافير بألحانٍ رقيقة، وقفزت السناجب بين الأغصان، وجرت الأرانب في المروج الخضراء ، وكأن الغابة كلها تحتفل بيوم جديد مليء بالأمل.

لكن بعيدًا عن أصوات الفرح، كان صوتٌ غريب يتردد بين الأشجار... **كشط... كشط... كشط...**

تساءلت الحيوانات :

ما هذا الصوت ؟

اقتربت بحذر ، فإذا بها ترى خنزيرًا بريًا قويًا يقف أمام شجرة عتيقة ، يفرك أنيابه الطويلة بجذعها الخشن ، مرة بعد أخرى ، في هدوء وصبر، وكأنه يؤدي مهمة لا يجوز أن يقاطعها أحد.

في تلك اللحظة ، مرّ ثعلبٌ اشتهر بين الحيوانات بخفة ظله، لكنه كان يحب السخرية أكثر مما يحب التفكير. وما إن رأى الخنزير حتى ابتسم ابتسامة ماكرة، و قال في نفسه :

وجدت اليوم فرصة جديدة للمزاح !

اقترب بخطوات هادئة ، ثم نظر حوله يمينًا ويسارًا ، وتظاهر بالخوف ، وقال بصوت مرتفع :

أين العدو ؟ هل هاجمتنا الذئاب ؟ أم أن الصيادين اقتربوا ؟

رفع الخنزير رأسه قليلًا ، ثم عاد يشحذ أنيابه دون أن يغضب أو ينزعج.

ضحك الثعلب و قال :

لا أرى أحدًا يطاردك ، ولا أسمع نباح الكلاب ، ولا أشم رائحة الصيادين. فلماذا تتعب نفسك في عملٍ لا تحتاج إليه الآن ؟

ابتسم الخنزير ابتسامة هادئة ، ومسح التراب عن أنيابه، ثم قال :

لأنني لا أريد أن أبحث عن الوقت عندما يأتي الخطر.

تعجب الثعلب أكثر، وسأله :

و ماذا تقصد ؟

قال الخنزير :

لو ظهر الخطر فجأة ، فهل أترك نفسي لأبدأ شحذ أنيابي ؟ أم أواجهه وأنا مستعد ؟

ظل الثعلب صامتًا.

ثم أكمل الخنزير :

الاستعداد لا يعني أنني أخاف ، بل يعني أنني أحترم المستقبل.

هزّ الثعلب كتفيه وقال ضاحكًا :

أنت تبالغ في التفكير ! أنا أعيش يومي ، وعندما يأتي أي أمر ، سأتصرف وقتها.

ابتسم الخنزير مرة أخرى ، و قال بلطف :

وهل يستطيع المزارع أن يزرع الحقل بعد أن يحين موسم الحصاد؟

فكر الثعلب قليلًا ، لكنه لم يجد جوابًا.

وأضاف الخنزير :

وهل يستطيع الطالب أن يبدأ الدراسة بعد دخول قاعة الامتحان؟

ازداد صمت الثعلب.

ثم تابع الخنزير:

وهل يستطيع رجل الإطفاء أن يتعلم استخدام الماء عندما يشتعل الحريق ؟

بدأت كلمات الخنزير تدخل قلب الثعلب شيئًا فشيئًا.

وفي تلك الأثناء ، كانت مجموعة من الحيوانات الصغيرة تستمع إلى الحديث باهتمام.

قال الأرنب الصغير : أنا أتدرب كل يوم على الجري حتى أستطيع الهرب إذا ظهر الخطر.

و قالت السلحفاة : وأنا أحافظ على بيتي فوق ظهري أينما ذهبت.

و أضافت النحلة : نحن نجمع الرحيق في الربيع والصيف ، حتى نجد الطعام في الأيام التي تقل فيها الأزهار.

و قالت السنجابة وهي تحمل ثمرة بلوط :

وأنا أخزن الطعام قبل الشتاء الطويل.

ابتسم الخنزير وقال :

كل مخلوق ناجح يعرف أن الاستعداد اليوم هو راحة الغد.

ضحك الثعلب ضحكة قصيرة ، لكنه لم يقتنع تمامًا ، ثم ودع الجميع ومضى في طريقه وهو يتمتم :

كل هذه الاستعدادات... لا أظنها ضرورية.

مرت الأيام بهدوء .

وفي صباحٍ غائم ، هبت رياح قوية ، وبدأت أصوات الكلاب تقترب من أطراف الغابة.

صرخت العصافير من أعلى الأشجار :

الصيادون... الصيادون !

انتشرت الحيوانات في كل اتجاه.

قفز الأرنب بسرعة لأنه كان يتدرب كل يوم.

اختبأت السنجابة في جذع الشجرة بعدما خزنت طعامها.

حلقت الطيور إلى أماكن آمنة.

أما الخنزير البري ، فقد وقف ثابتًا ، وكانت أنيابه اللامعة جاهزة للدفاع عن نفسه إن احتاج إلى ذلك.

في المقابل، أصيب الثعلب بالارتباك. ركض يمينًا، ثم عاد يسارًا. اختبأ خلف صخرة، ثم خرج منها. لم يكن قد فكر من قبل في مكان آمن يهرب إليه، ولا في خطة إذا وقع الخطر.

وفجأة تعثر بين الأغصان اليابسة.

اقتربت الكلاب أكثر. ارتفع نباحها في أنحاء الغابة.

شعر الثعلب بالخوف لأول مرة.

وفي اللحظة المناسبة، صاح الخنزير :

تعال من هنا !

أسرع الثعلب خلفه، وقاده الخنزير عبر ممر ضيق بين الصخور لا تعرفه الكلاب، حتى وصلا إلى مكان آمن بعيدًا عن الخطر.

جلس الثعلب يلتقط أنفاسه، ثم نظر إلى الخنزير بخجل.

قال بصوت منخفض :

لقد كنت محقًا.

ابتسم الخنزير و قال :

كلنا نتعلم.

خفض الثعلب رأسه و قال :

كنت أظن أن الاستعداد مضيعة للوقت، لكنني اكتشفت اليوم أنه ينقذ الحياة.

ربت الخنزير على كتفه و قال :

لا بأس أن يخطئ الإنسان، لكن الجميل أن يتعلم من خطئه.

ومنذ ذلك اليوم، تغير الثعلب كثيرًا. أصبح يستيقظ مبكرًا. يرتب أوكاره. ويفكر قبل أن يتصرف. ويتدرب على ما يحتاج إليه. ولم يعد يسخر من الحيوانات المجتهدة، بل صار يشجعها.

وذات يوم، اجتمع صغار الغابة حوله، وسأله أحدهم :

ما أهم درس تعلمته في حياتك ؟

ابتسم الثعلب، ونظر إلى الخنزير الذي كان بعيدًا يعتني بأنيابه، ثم قال :

تعلمت أن القوة ليست في الأسنان الحادة وحدها ، بل في العقل الذي يعرف متى يستعد. وأن العمل الصغير الذي ننجزه اليوم قد يحمينا من مشكلة كبيرة غدًا.

ثم التفت إلى الصغار و قال :

إذا كان لديكم امتحان ، فاستعدوا له قبل موعده.

وإذا أردتم أن تصبحوا رياضيين ، فتدربوا كل يوم.

وإذا أحببتم القراءة ، فاجعلوا الكتاب صديقًا دائمًا.

وإذا وعدتم أحدًا ، فأوفوا بوعدكم.

فالنجاح لا يأتي فجأة ، بل ينمو قليلًا قليلًا ، مثل الشجرة التي تبدأ ببذرة صغيرة، ثم تكبر كل يوم حتى تصبح قوية، تظلّل من حولها، وتقاوم الرياح.

كانت الحيوانات تستمع بإعجاب ، بينما كانت الشمس تميل نحو الغروب ، فتلون السماء بألوان برتقالية وزهرية جميلة.

نظر الخنزير إلى الأفق وقال :

الغد يبدأ من اليوم.

هزّت الحيوانات رؤوسها موافقة ، وشعرت أن هذه الكلمات ستبقى في قلوبها طويلًا.

ومنذ ذلك المساء ، أصبحت الغابة أكثر نشاطًا وتنظيمًا. صار كل صغير يتعلم مهارة جديدة، وكل كبير يخطط لما ينفعه وينفع غيره. وأدرك الجميع أن الحكمة لا تعني كثرة الكلام ، بل حسن الاستعداد ، وأن الإنسان – كما الحيوان – يبني مستقبله بعمله اليوم.

وهكذا بقيت قصة الخنزير البري والثعلب تُروى جيلاً بعد جيل ، لتذكر الصغار والكبار بأن النجاح لا يولد في لحظة ، بل يصنعه الاجتهاد ، و التخطيط ، و الصبر ، و الاستعداد الدائم.

من يستعد في وقت السعة ، يطمئن في وقت الشدة. والحكيم لا ينتظر الخطر حتى يبدأ العمل ، بل يغتنم أوقات الهدوء ليبني قوته ، ويهيئ نفسه ، ويزرع الخير في طريق المستقبل.

الثعلب والثعبان... عندما خانت الأنانية الصداقة

في صباحٍ ربيعيٍّ جميل، كانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية بين أغصان الأشجار، وكانت العصافير تغني ألحانًا عذبة، بينما كانت الحيوانات تستعد ليومٍ جديد مليء بالحركة والحياة.

وفي قلب الغابة الواسعة، عاش ثعلبٌ ذكيٌّ يُعرف بسرعة بديهته وحسن تدبيره، وثعبانٌ قويٌّ يمتلك عضلاتٍ متينة وجسدًا طويلًا يزحف بهدوء بين الأعشاب والصخور.

ورغم أنهما كانا يختلفان كثيرًا، ويقع بينهما خلافٌ كلما التقيا، فإنهما شعرا يومًا أن الخصام لا يجلب إلا التعب، وأن الحياة تصبح أجمل عندما يتعاون الجميع.

جلسا تحت شجرةٍ كبيرة تتراقص أوراقها مع نسيم الصباح، وقال الثعلب مبتسمًا:

ما رأيك يا صديقي أن نفتح صفحةً جديدة ؟ لقد مللت الشجار.

هزّ الثعبان رأسه موافقًا وقال :

وأنا أيضًا. فلنجعل الصداقة طريقنا من اليوم.

تصافحا بطريقتهما الخاصة ، وتعاهدا على أن يعيشا في محبةٍ ووئام، وأن يساعد أحدهما الآخر مهما كانت الظروف.

مرت الأيام ، وأصبحت صداقتهما حديث حيوانات الغابة. كانا يتجولان معًا بين الغابات الخضراء، والسهول الواسعة، والجبال الشامخة، والوديان العميقة. يشاهدان الطيور وهي تبني أعشاشها، والسناجب وهي تجمع ثمار الشتاء، والغزلان وهي تركض بخفة بين الأشجار.

وكانا إذا حصلا على طعامٍ اقتسماه بالتساوي ، فلا يأكل أحدهما أكثر من الآخر، حتى ظن الجميع أن خلافهما القديم قد اختفى إلى الأبد.

وذات صباحٍ صافٍ، قال الثعلب بحماس:

ما أجمل أن نواصل رحلتنا إلى أماكن لم نرها من قبل! لنجُب العالم ونكتشف عجائبه. أعجب الثعبان بالفكرة، وانطلقا في رحلةٍ طويلة مليئة بالمغامرات.

شاهدا شلالاتٍ تتدفق كأنها خيوط من الفضة، وحقولًا تملؤها الأزهار الملونة، وكهوفًا غامضة تخبئ أسرارًا قديمة، ومرّا بقرى الحيوانات التي كانت تستقبل المسافرين بابتساماتٍ دافئة.

وفي كل مكان كانا يتعلمان شيئًا جديدًا ؛ فالنحلة علمتهما قيمة العمل، والنملة علمتهما النظام، والطائر علمهما أن الحرية تحتاج إلى مسؤولية.

وبينما هما يسيران ذات مساء ، وصلا إلى نهرٍ عريضٍ شديد الجريان، تتلألأ مياهه تحت أشعة الشمس، ويبدو عبوره أمرًا صعبًا.

تأمل الثعلب النهر قليلًا ثم قال :

لا تقلق يا صديقي، سنعبر إلى الضفة الأخرى ثم نواصل رحلتنا.

نظر الثعبان إلى الماء بخوف و قال :

لكنني لا أعرف السباحة، ولم أجربها في حياتي.

ابتسم الثعلب مطمئنًا و قال :

الصديق الحقيقي لا يترك صديقه في وقت الشدة. التفَّ حول جسدي، وسأسبح بك حتى نصل إلى الشاطئ الآخر.

فرح الثعبان كثيرًا و قال :

شكرًا لك يا صديقي الوفي.

التف الثعبان حول جسم الثعلب، وأخذ الثعلب يسبح بكل ما يملك من قوة. كانت الأمواج تدفعهما، والتيار يحاول إبعادهما عن الشاطئ، لكن الثعلب واصل السباحة بصبرٍ وإصرار.

ومع مرور الوقت بدأت قواه تضعف، وأصبحت أنفاسه متقطعة، وشعر بأن ساقيه لم تعودا تقويان على الحركة، لكنه لم يشأ أن يقلق صديقه، فواصل السباحة وهو يشجع نفسه قائلًا :

بقي القليل... سأصل... لا بد أن أصل.

اقتربا أخيرًا من الشاطئ ، ولم يعد يفصل بينهما وبين اليابسة سوى أمتار قليلة.

وفجأة... شعر الثعلب بأن جسده يُضغط بقوةٍ شديدة. لقد بدأ الثعبان يشد عضلاته حول جسم الثعلب شيئًا فشيئًا.

تألم الثعلب وصاح بصوتٍ متعب :

ماذا تفعل يا صديقي؟ إنك تؤذيني !

رد الثعبان ببرود :

أعرف ذلك.

قال الثعلب بدهشة :

ولماذا ؟

ابتسم الثعبان ابتسامةً ماكرة و قال :

لأنني جائع جدًا، وإذا تخلصت منك فلن أشارك أحدًا الطعام بعد اليوم، وستصبح كل الفرائس لي وحدي.

ساد صمتٌ ثقيل.

شعر الثعلب بالحزن أكثر من الخوف.

قال في نفسه :

يا للخسارة! ظننت أن الصداقة غيّرت قلبه ، لكن الأنانية ما زالت تسكن داخله.

كان الهواء يملأ رئتيه بصعوبة ، ولم يبق أمامه إلا لحظات قليلة.

لكن الثعلب كان ذكيًا، ولم يفقد هدوءه.

قال بصوتٍ خافت :

إذا كنت مصممًا على قتلي ، فأنا لن أستطيع منعك ، ولكن هل تحقق لي أمنيةً أخيرة ؟

ضحك الثعبان وقال :

قل ما تريد، فلن يغير ذلك شيئًا.

قال الثعلب :

عشنا سنواتٍ معًا، وسافرنا كثيرًا، لكنني لم أتأمل وجهك عن قرب قط. دعني أنظر إليه للمرة الأخيرة قبل أن أفارق الحياة.

شعر الثعبان بالغرور، وأعجبه أن يسمع المديح.

قال مبتسمًا :

ولم لا ؟ وأنا أيضًا سأودعك بنظرةٍ أخيرة.

وأخذ يمد رأسه ببطء نحو وجه الثعلب.

وفي اللحظة التي اقترب فيها ..انقض الثعلب بسرعةٍ خاطفة، وغرز أنيابه في رأس الثعبان قبل أن يتمكن من الرجوع.

حاول الثعبان أن يتخلص منه ، لكنه كان قد فقد قوته ، فانفلتت عضلاته ، وسقط على ضفة النهر.

استطاع الثعلب أن ينجو ، وجلس يلتقط أنفاسه وهو ينظر إلى مياه النهر التي عادت هادئة كأن شيئًا لم يحدث.

ظل صامتًا لحظات، ثم قال بحزن :

كم تمنيت أن تستمر صداقتنا ! لكن الصداقة لا تعيش مع الغدر، ولا تنمو في قلبٍ تملؤه الأنانية.

وفي تلك الأثناء، مرت سلحفاةٌ عجوز كانت قد شاهدت ما حدث من بعيد. اقتربت من الثعلب وقالت بلطف :

لقد أنقذك ذكاؤك اليوم ، لكن تذكر دائمًا أن الصديق الحقيقي هو من يحفظ الأمانة ، ويقف معك وقت الشدة ، لا من يستغل إحسانك لتحقيق مصالحه.

هز الثعلب رأسه موافقًا و قال :

لقد تعلمت درسًا لن أنساه ما حييت.

ثم نهض، وأكمل طريقه وحده، لكنه أصبح أكثر حكمة في اختيار من يصاحبهم.

ومنذ ذلك اليوم ، أخذت حيوانات الغابة تروي هذه الحكاية لصغارها، لتعلمهم أن الصداقة كنزٌ ثمين، لكنها تقوم على الصدق والإخلاص والوفاء، وأن الأنانية قد تهدم أجمل العلاقات، وأن من يقابل الإحسان بالغدر يخسر ثقة الآخرين واحترامهم.

ليس كل من يبتسم لنا يكون صديقًا مخلصًا، فالصداقة الحقيقية تُبنى على الأمانة والرحمة والتعاون ، لا على المصلحة والخداع. ومن يساعد الآخرين بإخلاص ينال محبتهم ، أما من يخون الثقة ويستغل المعروف، فإن عاقبة الغدر تكون الخسارة والندم.

الثعلب والقرد... والمديح الذي خدع صاحبه

في صباحٍ جميل، كانت أشعة الشمس الذهبية تتسلل بين أغصان الأشجار العالية، وتداعب أوراق الغابة الندية. وكانت الطيور تغني ألحانًا عذبة، والفراشات الملونة تطير من زهرة إلى أخرى، وكأن الغابة ترتدي ثوبًا من الفرح.

لكن في طرفٍ هادئ من الغابة ، كان هناك ثعلب يمشي ببطء ، وقد بدت على وجهه علامات التعب والجوع. كان بطنه يقرقر من شدة الجوع، وعيناه تبحثان في كل مكان عن شيء يسد به رمقه.

قال الثعلب في نفسه :

آه... لقد قضيت وقتًا طويلًا أبحث عن الطعام ، ولم أجد شيئًا حتى الآن. لا بد أن أجد حلاً قبل أن يشتد جوعي أكثر.

ظل يسير بين الأشجار حتى وصل إلى شجرة جوز هند شاهقة، ترتفع نحو السماء، وتتدلى منها ثمار كبيرة لامعة.

رفع الثعلب رأسه ، وتأمل الثمار بإعجاب ، ثم ابتسم وقال: ما أجمل هذه الثمار! لو استطعت أن آكل واحدة منها لشعرت بالشبع والسعادة.

وفي تلك اللحظة ، هبت نسمة هواء قوية ، فتأرجحت أغصان الشجرة، وسقطت حبة جوز هند كبيرة على الأرض.

قفز الثعلب من الفرح وهو يقول :

يا لها من مفاجأة رائعة ! لقد جاء الطعام إليّ دون عناء.

أمسك الثعلب بجوزة الهند، وحاول أن يقضمها بأسنانه. ضغط بقوة... ثم ضغط مرة أخرى... ثم حاول أن يضربها بحجر صغير... لكنها بقيت صلبة، وكأنها تخفي سرًا في داخلها.

جلس الثعلب تحت الشجرة، ووضع يده على ذقنه، وبدأ يفكر.

كان يعرف أن الاستسلام لا يحل المشكلات ، وأن التفكير الهادئ قد يقود إلى الحل.

وبينما هو غارق في أفكاره، سمع صوتًا خفيفًا فوق الأغصان.

نظر إلى الأعلى، فإذا بقرد نشيط يقفز بخفة بين فروع الشجرة ، يجمع ثمار جوز الهند بكل مهارة.

ابتسم الثعلب ابتسامة ماكرة، ولمعت عيناه بفكرة جديدة.

قال في نفسه :

القرد قوي وسريع ، لكنني سمعت أنه يحب كلمات المديح كثيرًا... وربما أستطيع أن أجعله يساعدني دون أن يطلب مني شيئًا.

اقترب الثعلب من الشجرة ، ثم رفع صوته بلطف قائلاً :

صباح الخير أيها القرد ! لقد سمعت عنك أشياء رائعة.

توقف القرد عن القفز ، ونظر إليه باستغراب.

قال :

حقًا ؟ وماذا سمعت ؟

قال الثعلب مبتسمًا :

كل حيوانات الغابة تتحدث عن مهارتك العجيبة، ويقولون إنك لا تخطئ هدفًا أبدًا. إنهم يرون أنك أفضل رامٍ في الغابة كلها.

شعر القرد بالسعادة، وامتلأ قلبه بالزهو. وقف منتصبًا ، ونفش شعره، وقال بفخر :

هذا صحيح... فأنا أتدرب كل يوم ، ولا يكاد يفلت مني هدف.

هز الثعلب رأسه بإعجاب ، ثم قال :

أتمنى أن أرى هذه المهارة بعيني.

ضحك القرد و قال :

يسعدني ذلك.

أشار الثعلب إلى صخرة كبيرة قريبة وقال :

هل تستطيع أن تأخذ حبة من جوز الهند ، ثم ترميها على تلك الصخرة من هنا ؟ إذا أصبتها فسأخبر الجميع أنك أمهر قرد عرفته الغابة.

لم يحتج القرد إلى التفكير. لقد أعجبته كلمات الثعلب، وأراد أن يثبت أنه يستحق كل ذلك المديح. أمسك أكبر حبة جوز هند، ثم أخذ نفسًا عميقًا، ولوّح بذراعه بكل قوته، ورماها نحو الصخرة.

طارت الحبة في الهواء... ثم...اصطدمت بالصخرة بقوة.

طاخ!

وانقسمت إلى نصفين، وظهر اللب الأبيض الطري داخلها.

قفز القرد فرحًا وهو يصفق بيديه ويضحك :

نجحت! لقد أصبت الهدف !

ظل ينظر إلى الثعلب ، ينتظر أن يصفق له، أو يمدحه مرة أخرى.

لكن ما حدث كان مفاجأة . فقد أسرع الثعلب إلى جوزة الهند المفتوحة ، وحملها بسرعة ، وأخذ يأكلها بنهم.

ثم لعق شفتيه ، وقال وهو يبتعد :

شكرًا على مساعدتك !

وركض بين الأشجار حتى اختفى.

وقف القرد مكانه، وقد اختفت ابتسامته.

نظر إلى يديه ، ثم إلى الصخرة ، ثم إلى مكان الثعلب.

وأخيرًا قال بحزن :

لقد خدعني...

جلس القرد تحت الشجرة يفكر طويلًا.كان يشعر بالندم ، ليس لأنه خسر جوزة الهند فقط ، بل لأنه صدق كلمات المديح دون أن يسأل نفسه :

لماذا يمدحني الثعلب ؟ وماذا يريد مني ؟

وبينما كان يفكر، اقتربت منه سلحفاة عجوز عُرفت بالحكمة.

قالت بلطف :

ما بك يا بني ؟

حكى لها القرد كل ما حدث.

ابتسمت السلحفاة وقالت :

المديح الجميل يسعد القلب ، لكنه قد يصبح فخًا إذا جعلنا نتوقف عن التفكير.

سألها القرد :

وكيف أعرف أن من يمدحني صادق ؟

قالت : اسأل نفسك دائمًا :

هل يريد هذا الشخص مصلحتي ، أم يريد مصلحة نفسه ؟ وهل أتصرف بعقلي ، أم لأنني أحب سماع كلمات الإعجاب ؟

أطرق القرد رأسه وقال :

لقد فهمت الدرس.

+

وفي اليوم التالي ، عاد الثعلب إلى الشجرة ، وهو يظن أنه سيكرر الحيلة نفسها.

قال مبتسمًا :

صباح الخير أيها القرد الماهر ! لا يوجد في الغابة من يضاهي قوتك.

ابتسم القرد هذه المرة بهدوء ، ولم يندفع كما فعل بالأمس.

قال : شكرًا لك ، ولكن إن أردت مساعدتي أو مساعدتك ، فلنتعاون معًا.

تعجب الثعلب وقال : وكيف ؟

أجاب القرد :سأكسر جوزة الهند ، ثم نقسمها بيننا بالتساوي، فالتعاون خير من الخداع.

شعر الثعلب بالخجل.

لقد أدرك أن القرد لم يعد ينجرف وراء المديح ، وأنه تعلم أن يستخدم عقله قبل أن يتخذ أي قرار.

خفض الثعلب رأسه وقال بصوت خافت :

لقد كنت أنانيًا بالأمس ، وأعتذر عما فعلته.

ابتسم القرد وقال : الاعتذار الصادق بداية جميلة للتغيير.

كسر القرد ثمرة جوز هند، وجلس الاثنان يأكلان معًا في هدوء.

ومنذ ذلك اليوم ، صار الثعلب يحاول أن يحصل على ما يريد بالصدق والعمل ، لا بالخداع ، وأصبح القرد أكثر حكمة، فلا يغره المديح، ولا يرفض التعاون.

وكانت حيوانات الغابة تروي هذه القصة لصغارها، وتقول لهم :

إن الكلمات الجميلة قد تكون صادقة ، وقد تكون وسيلة لخداع الآخرين، لذلك علينا أن نفرح بالمديح، لكن لا نتركه يعطل عقولنا.

فالإنسان الحكيم يسمع بقلبه ، ويفكر بعقله ، ثم يختار الصواب.

ومن واقع حياتنا ، قد يقول أحد الأطفال لزميله :

أنت أذكى طالب في الصف، أعطني واجبك لأنقله بسرعة.

وقد يمدح شخصٌ صديقه فقط ليجعله يقوم بعمل لا يريد القيام به بنفسه.

أما الطفل الواعي ، فإنه يشكر من يمدحه ، لكنه يسأل نفسه أولًا: هل هذا الطلب صحيح ؟ وهل فيه خير للجميع ؟

العبرة :

- لا تجعل المديح يقود قراراتك.
- فكّر قبل أن تستجيب لأي طلب.
- استخدم عقلك مع قلبك.
- الصدق والتعاون يبنيان الصداقة، أما الخداع فلا يدوم.
- الاعتراف بالخطأ والاعتذار شجاعة، والتغيير إلى الأفضل أجمل انتصار.

الدب دودو وصندوق الطمع

في صباحٍ هادئ، كانت أشعة الشمس الذهبية تتسلل بين أغصان الأشجار العالية، فتوقظ العصافير بألحانها الجميلة، وتلمع قطرات الندى فوق أوراق الزهور كأنها حبات من اللؤلؤ.

في قلب تلك الغابة الواسعة، كانت الحيوانات تعيش في سلامٍ ومحبة، تساعد بعضها بعضًا، وتتقاسم الطعام والماء، حتى أصبحت الغابة بيتًا آمنًا للجميع.

وكان يحكم الغابة الأسد **سيزر**، ملكًا قويًّا وعادلًا، لا يخاف إلا على شعبه. وكان يجمع الحيوانات كل صباح، ويقول بصوته الواثق:

اذهبوا لجمع طعامكم ، ولكن تذكّروا دائمًا أن تكونوا حذرين. فالصيادون لا يبحثون عن الطعام، بل يبحثون عن الفرصة. وإذا عرفوا مكان غابتنا، فلن يبقى الأمان الذي نعيش فيه.

كانت الحيوانات تطيع أوامر الملك، فتخرج في مجموعات، وتعود قبل غروب الشمس، ولم يحدث يومًا أن خالف أحد تعليماته.

ومن بين جميع الحيوانات، كان يعيش دب صغير يُدعى **دودو**.

كان دودو طيب القلب ، يحب أصدقاءه ، لكنه كان يحلم دائمًا بأن يصبح أغنى حيوان في الغابة. وكان يتخيل كوخًا كبيرًا مليئًا بالعسل والهدايا والأشياء اللامعة ، حتى صار هذا الحلم يشغل تفكيره كثيرًا.

وكانت أمه تقول له دائمًا :

يا دودو، السعادة لا تُشترى بالذهب ، وإنما تصنعها القلوب الطيبة.

فيبتسم، لكنه كان يظن أن الذهب يستطيع أن يحقق كل الأحلام.

+

وفي أحد الأيام، جاء إلى الغابة ثعلب غريب اسمه **همام**، وكان يعيش في غابة مجاورة. دخل الثعلب إلى مجلس الملك سيزر، وانحنى باحترام، ثم قال :

أيها الملك العظيم ، سمعت أن أسد الغابة المجاورة مريض وضعيف ، وهذه فرصة لا تعوض. لو هاجمتهم الآن ، ستضم غابتهم إلى مملكتك ، وتصبح أعظم ملوك الغابات.

ساد الصمت.

نظر الملك سيزر إلى الثعلب طويلًا ، ثم قال بهدوء :

القوة الحقيقية لا تعني أن نأخذ ما ليس لنا. والطمع بداية كل هلاك. نحن نحمي أرضنا ، ولا نعتدي على أرض غيرنا.

ثم التفت إلى الحيوانات و قال :

أحذركم جميعًا من الاقتراب من الغابة المجاورة ، فإني أشعر أن وراء هذه الكلمات مكيدة.

غادر الثعلب وهو يضغط على أسنانه غيظًا ، وقال في نفسه :

إذا لم يقع الأسد في الفخ ، فسأوقع أحد أفراد غابته.

+

مرّت أيام قليلة. وفي صباحٍ جميل، حمل دودو سنارة الصيد، وذهب إلى البحيرة القريبة ليصطاد بعض السمك.

كانت البحيرة تقع بجوار غابة الثعلب.

وبينما كان دودو يجلس ينتظر السمك ، لمح الثعلب من بعيد.

ابتسم ابتسامة خبيثة وقال :

لقد وجدت فريستي.

اقترب منه بلطف وقال :

مرحبًا يا دودو، أراك تعمل بجد.

ابتسم دودو وقال :

نعم، أبحث عن طعام اليوم.

اقترب الثعلب أكثر وهمس :

وماذا لو قلت لك إنك تستطيع أن تصبح أغنى حيوان في الغابة خلال دقائق ؟

اتسعت عينا دودو دهشة. وقال بسرعة :

حقًا ؟ كيف ؟

أشار الثعلب إلى صندوق خشبي قديم تحت شجرة كبيرة وقال :

ذلك الصندوق مليء بالذهب والجواهر والعملات الثمينة. لقد وجدته، لكنني لا أحتاج إليه. يمكنك أخذه كله.

قفز قلب دودو من شدة الفرح. اقترب من الصندوق ، فوجده ثقيلًا.

قال متعجبًا :

لا بد أنه مليء بالكنوز حقًا.

ابتسم الثعلب ابتسامة خفية وقال :

لكن اسلك هذا الطريق الضيق، فهو بعيد عن أعين الجميع، حتى لا يراك أحد.

شكره دودو، وحمل الصندوق بكل قوته، وسار في الطريق الذي أشار إليه الثعلب.

لكن الثعلب كان يعرف سرًا خطيرًا.

ففي نهاية ذلك الطريق ، كان أحد الصيادين يراقب المكان منذ ساعات.

رأى الصياد الدب يحمل صندوقًا ثقيلًا، فقال في نفسه :

لا بد أن هذا الصندوق يحتوي على شيء ثمين ، وإذا تبعته فسأعرف مكان الغابة.

اختبأ خلف الأشجار، وأخذ يتبع دودو بصمت.

أما الثعلب، فوقف يضحك وهو يقول :

الآن سيعرف الصيادون مكان الغابة ، وستفرغ من الحيوانات ، وعندها سأستولي عليها.

وصل دودو إلى الغابة دون أن يشعر بمن يراقبه.

وفي المساء ، عاد الصياد إلى رفاقه ، وقال بحماس :

لقد اكتشفت غابة مليئة بالحيوانات !

بدأ الصيادون يجهزون شباكهم وبنادقهم ، وانتظروا حتى حلّ الليل. ثم تحركوا نحو الغابة. لكن حراس الغابة كانوا يسهرون لحماية الجميع. فشاهدوا الصيادين من بعيد، وأسرعوا إلى الملك سيزر.

قال أحد الحراس وهو يلهث :

أيها الملك... الصيادون قادمون !

فكر الملك لحظات، ثم قال بحكمة :

سلامة الجميع أهم من أي شيء. سنغادر الغابة الليلة ، ثم نعود عندما يرحل الصيادون.

بدأت الحيوانات تغادر بسرعة ونظام.

لكن دودو احتضن صندوقه بقوة وقال :

لن أتركه أبدًا! لقد أصبح ملكي.

قال له الملك :

يا دودو... الحياة أغلى من كل الكنوز.

لكن دودو لم يستمع.

اختبأ بين الصخور، وهو يضم الصندوق إلى صدره.

+

دخل الصيادون الغابة. بحثوا في كل مكان. لم يجدوا حيوانًا واحدًا.

وفجأة لمح أحدهم الصندوق. قال :

إذا كان الصندوق هنا ، فلا بد أن صاحبه قريب.

فتشوا المكان حتى وجدوا دودو مختبئًا.

أمسكوا به وربطوا يديه بالحبال.

ثم أخذوا الصندوق.

قال دودو وهو يبكي : أرجوكم... خذوا الصندوق واتركوني.

سأله كبير الصيادين : أين ذهبت بقية الحيوانات ؟

أجاب دودو بصدق : لا أعرف.

لكنهم لم يصدقوه.

كرر كلامه مرات كثيرة، فلم يقتنعوا.

وفجأة تذكر دودو غابة الثعلب.

فقال : لا أعرف مكان أصدقائي، لكنني أعرف غابة أخرى مليئة بالحيوانات.

فرح الصيادون كثيرًا.

وقال قائدهم : هيا بنا !

+

وصل الصيادون إلى غابة الثعلب.

كانت الحيوانات هناك نائمة، ولم تتوقع الخطر.

انتشرت الشباك في كل مكان. ودوّى صوت البنادق بين الأشجار.

استيقظت الحيوانات مذعورة. حاولت الهرب في كل اتجاه. لكن كثيرًا منها وقع في الشباك.

أما الثعلب، فأخذ يركض وهو يصرخ :

أنقذوني !

لكن الوقت كان قد فات. وقع هو أيضًا في أحد الشباك.

وعندما رآه الصيادون، أمسكوا به بسهولة.

نظر الثعلب حوله ، فرأى غابته التي كان يحلم بأن يحكمها وحده ، وقد خلت من سكانها.

تنهد بحزن وقال : لقد خدعت غيري... فخدعت نفسي.

أدرك متأخرًا أن الشر يعود دائمًا إلى صاحبه، وأن من يحفر حفرة لغيره قد يقع فيها أولًا.

+

وبعد أيام، عاد الملك سيزر مع حيواناته إلى الغابة. كانت آمنة من جديد.

ثم نظر إلى الغابة المجاورة، التي أصبحت خالية بعد أن رحلت عنها الحيوانات أو أسرها الصيادون.

فقال بحزن : لن نترك هذه الأرض مهجورة. سنحافظ عليها، ونزرع فيها الحياة من جديد.

وهكذا أصبحت الغابتان مملكة واحدة ، ليس لأن الملك أراد التوسع، بل لأنه أراد أن يحمي المكان ويجعله آمنًا لكل حيوان يبحث عن بيت.

أما دودو، فقد عاد إلى أصدقائه حزينًا بعد أن نجا من الصيادين.

وقف أمام الجميع وقال :

لقد تعلمت درسًا لن أنساه أبدًا. كنت أظن أن الذهب يصنع السعادة، لكنه كاد يحرمني من أصدقائي ومن حياتي.

ابتسم الملك سيزر وقال :

الخطأ قد يكون بداية جديدة، إذا تعلمنا منه.

ومنذ ذلك اليوم، صار دودو أكثر حكمة ، وأكثر استماعًا للنصيحة، وأكثر اهتمامًا بأصدقائه من اهتمامه بأي كنز.

وأصبح يحكي صغار الحيوانات قصته كل مساء، حتى يتعلموا أن الطمع يعمي القلب، وأن الحكمة تحمي صاحبها، وأن الأمان والتعاون والمحبة أثمن من كل صناديق الذهب.

العبرة من القصة :

- الطمع قد يقود صاحبه إلى خسارة كل شيء.
- الحكمة أفضل من القوة ، والصدق أفضل من الخداع.
- الاستماع إلى نصيحة الكبار يحمي الإنسان من الوقوع في الأخطاء.
- من يؤذِ الآخرين يعود شره إليه.
- التعاون يحفظ المجتمع ، أما الأنانية فتجلب الخطر للجميع.
- الصديق الحقيقي يحافظ على سلامة الجميع ، ولا يعرّضهم للخطر من أجل مصلحة شخصية.

همام ووئام... بيتٌ من المحبة

كانت شمس الصباح ترسل خيوطها الذهبية بين أغصان الأشجار العالية، فتغسل أوراقها بندى جميل يشبه اللؤلؤ. وكانت الطيور تزقزق بألحان رقيقة، بينما تتمايل الأزهار مع نسيم لطيف، وكأن الغابة كلها تستعد ليوم جديد مليء بالمفاجآت.

وفي ذلك الصباح ، كان الثعلب **همام** يسير بخطوات هادئة في أحد ممرات الغابة. كان ثعلبًا نشيطًا ، ذكيًا ، ويحب أن يساعد الآخرين. لم يكن يبحث عن الطعام فقط ، بل كان يؤمن أن أجمل ما في الحياة هو أن يجد صديقًا يشاركه الأفراح والأحلام.

وبينما كان يتأمل الأشجار والطيور، لمح من بعيد ثعلبة تمشي في هدوء ورقة. كان لون فرائها يلمع تحت أشعة الشمس ، وكانت خطواتها واثقة ولطيفة ، تمشي في دلال و خفة .

اقترب همام بأدب ، وقال مبتسمًا :

السلام عليكِ، ما أجمل هذا الصباح ! هل تسمحين لي أن أعرف اسمك ؟

ابتسمت الثعلبة في حياء ، وقالت بصوت هادئ :

وعليك السلام. اسمي **وئام**.

أعجب همام بالاسم قبل أن يعجب بصاحبته ، وقال :

ما أجمل اسمك ! إنه يحمل معنى المحبة والانسجام.

ضحكت وئام وقالت : أتمنى أن أكون دائمًا كما يدل اسمي.

شعر همام بدفء جميل يملأ قلبه، وكأن زهرة صغيرة تفتحت في داخله. ولم يرد أن تمر اللحظة دون أن يعبر عن لطفه ، فأخذ يبحث حوله ، حتى وجد شجرة مليئة بالثمار الناضجة ذات الرائحة الزكية.

اختار أجمل ثمرة ، ونظفها من الغبار، ثم قدمها إليها قائلاً :

تفضلي ، أرجو أن تنال إعجابك.

أخذتها وئام بابتسامة مشرقة وقالت:

شكرًا لك يا همام. الكلمة الطيبة والهدية الصادقة أجمل من الثمرة نفسها.

عاد كل منهما إلى طريقه، لكن صورة الآخر بقيت ترافقه طوال اليوم.

+

وفي صباح اليوم التالي ، استيقظ همام مبكرًا ، وبذل جهدًا كبيرًا حتى استطاع أن يصطاد طائرًا صغيرًا يكفي وجبة طيبة. وبينما كان عائدًا ، لمح وئام تسير في الطريق نفسه الذي التقاها فيه بالأمس.

فرح برؤيتها وقال : صباح الخير يا وئام.

أجابته بابتسامة : صباح السعادة يا همام.

ثم قدم إليها الطائر وقال : أعلم أن هذا الطعام سينفعك أكثر مني اليوم.

نظرت إليه بإعجاب، ولم يكن إعجابها بالطائر، بل بكرمه واهتمامه بالآخرين.

قالت : ليس كل من يقدم هدية كريمًا، فالكريم هو من يعطي بمحبة، دون انتظار مقابل.

جلسا تحت شجرة كبيرة يتحدثان عن الغابة ، وعن أحلامهما ، وعن الحياة الجميلة التي تقوم على التعاون والصدق والرحمة.

كان همام يستمع باهتمام، وكلما تحدثت وئام، ازداد اقتناعًا بأنها صاحبة قلب طيب.

وبعد لحظات من الصمت الجميل، جمع همام شجاعته وقال :

يا وئام... هل أنت مخطوبة ؟

نظرت إليه طويلًا ، ثم ابتسمت وقالت : لا، لست مخطوبة.

شعر قلب همام وكأنه يطير بين الغيوم، وقال بلطف :

إذن... هل تقبلين أن نتشارك الحياة، ونبني بيتًا يسوده الحب والتعاون ؟

خفضت وئام رأسها قليلًا، ثم قالت :

أقبل، ولكن لدي شرط.

قال همام بسرعة : وما هو؟

قالت : أ

ريد أن يكون زواجنا في وسط الغابة، أمام جميع الحيوانات ، حتى يعلم الجميع أن الأسرة تقوم على المحبة والاحترام ، لا على المظاهر.

ابتسم همام وقال : هذا أجمل شرط سمعته في حياتي.

انتشر الخبر في أنحاء الغابة، وبدأ الجميع يستعد لهذا اليوم السعيد.

عمل القندس على تزيين المكان بالأغصان الخضراء.

وجمعت السناجب الجوز والبندق.

وأحضرت الأرانب الزهور الملونة.

أما العصافير ، فقد تدربت على أجمل الألحان.

وجاءت الفراشات لترسم بأجنحتها لوحات من الألوان حول مكان الاحتفال.

وحين أشرقت شمس اليوم الموعود ، اجتمعت الحيوانات كلها.

حضر الأسد الحكيم، والفيل الوقور ، والغزال الرشيق ، والدب اللطيف ، والقنفذ ، والسلحفاة ، والحمام ، وحتى النحل جاء يحمل رائحة الأزهار.

وقف الجميع يباركون للعروسين. وغنت العصافير ألحان الفرح. ورقصت الفراشات بين الأغصان.

وكان النسيم يصفق للأغصان وكأنه يشاركهم الاحتفال.

قال الأسد الحكيم :

إن الأسرة السعيدة لا تبنى بالقوة، بل تبنى بالمحبة، والاحترام، وتحمل المسؤولية.

هز الجميع رؤوسهم موافقين .

+

ومنذ ذلك اليوم، بدأ همام ووئام حياة جديدة. لم تكن الحياة سهلة دائمًا. ففي بعض الأيام كانت الأمطار غزيرة.

وفي أيام أخرى كان العثور على الطعام يحتاج إلى صبر وجهد. لكنهما كانا يتعاونان في كل شيء. إذا تعب أحدهما، ساعده الآخر. وإذا نجح أحدهما، فرح له شريكه. وكانا يرددان دائمًا :

اليد الواحدة لا تصفق ، أما اليدان المتعاونتان فتبنيان أجمل البيوت.

ومرت الأيام في سعادة. وبعد ثلاثة وخمسين يومًا، رزقهما الله صغيرًا جميلًا أسمياه **هجرس**.

كان صغيرًا جدًا ، لا يعرف من الدنيا إلا دفء حضن أمه ، وصوت والده ، ورائحة البيت.

نظر همام إلى صغيره بعينين تملؤهما المحبة، وقال :

منذ اليوم أصبحت مسؤوليتي أكبر.

ابتسمت وئام وقالت :

وكلما كبرت المسؤولية، كبر معها الأجر لمن يؤديها بإخلاص.

أصبح همام يستيقظ قبل شروق الشمس. يبحث عن الطعام. ويجمع الثمار. ويصطاد ما يستطيع.

ثم يعود مسرعًا حتى لا تظل وئام وحدها مع صغيرهما طويلًا.

كان يشعر بالتعب أحيانًا، لكن كلما رأى هجرس يبتسم ، نسي تعبه كله.

وكانت وئام ترعى صغيرها بحنان ، وتعلمه منذ أيامه الأولى أجمل الصفات.

كانت تقول له : يا بني، كن صادقًا، فالصدق يريح القلب. وكن رحيمًا، فالرحمة تجعل الجميع يحبونك. واحترم الكبير، وارفق بالصغير.وساعد المحتاج، واشكر من يحسن إليك.

وكان همام يضيف :

ولا تنس أن النجاح يحتاج إلى صبر، كما تحتاج الشجرة سنوات حتى تثمر.

كبر هجرس قليلًا ، وأصبح يحب أن يرافق والده في نزهاته القصيرة.

وفي إحدى المرات ، وجد فرخ عصفور قد سقط من عشه.

قال هجرس : أبي، هل نتركه؟

ابتسم همام وقال :

لا يا بني، المؤمن الرحيم لا يترك من يحتاج إلى المساعدة.

فحملاه بحذر، حتى أعاداه إلى عشه.

كانت أم العصفور تطير حولهما فرحة ، وكأنها تشكرهما بلغتها الجميلة.

وفي يوم آخر، وجد هجرس ثمرة كبيرة.

قال : سأحتفظ بها كلها لنفسي.

ابتسمت وئام وقالت :

جرب أن تقسمها مع صديقك، وستشعر أن طعمها أصبح ألذ.

وفعل هجرس ذلك، فاكتشف أن المشاركة تجعل الفرح أكبر.

+

ومع مرور الأيام ، أصبح بيت همام ووئام مثالًا للأسرة المتحابة.

كانت الحيوانات الصغيرة تأتي لتتعلم منهم.

فيتعلم الأرنب النظام. ويتعلم القنفذ التعاون. وتتعلم السناجب الادخار للمستقبل. أما العصافير، فكانت تتعلم أن الكلمة الطيبة تبني الصداقة.

وكان همام يقول دائمًا :

الأسرة ليست مكانًا للنوم فقط، بل هي مدرسة نتعلم فيها الأخلاق.

وتضيف وئام :

وأجمل هدية يقدمها الوالدان لأبنائهما هي القدوة الحسنة.

كبر هجرس، وأصبح ثعلبًا مهذبًا ، محبوبًا بين جميع سكان الغابة.

وكان كل من يراه يقول : لقد أحسن همام ووئام تربيته.

فيبتسم الأبوان ، ويحمدان الله، لأن الثمار الجميلة تبدأ ببذرة صالحة ، ثم برعاية وصبر ، حتى تصبح شجرة وارفة يستظل بها الجميع.

وعندما أقبل المساء في أحد الأيام ، جلست الأسرة أمام بيتها الصغير، تتأمل السماء المزينة بالنجوم.

قال هجرس : أبي، ما سر سعادتنا ؟

ابتسم همام ، ونظر إلى وئام، ثم قال :

لأن بيتنا بني على المحبة، والعمل، والصدق، والتعاون.

وأضافت وئام :

وكل بيت تمتلئ جدرانه بالكلمات الطيبة، وتعيش فيه القلوب المتحابة، يصبح أجمل من أي قصر كبير.

ارتفعت أصوات العصافير بأغنية المساء ، وراحت الأشجار تهمس مع النسيم ، وكأن الغابة كلها تردد رسالة واحدة :

المحبة تُزرع بالكلمة الطيبة ، والأسرة السعيدة تُبنى بالرحمة ، والتعاون ، وتحمل المسؤولية ، فيكبر الأبناء وهم يحملون الخير لأنفسهم ولمجتمعهم.

الفهرس

1 – القناع الأجوف .
2 – محراب الثعلب .
3 – الثعلب الذي طارد ظله .
4 – البستان الذي ضاق بالطمع .
5 – حين يكشف العقل القوة ، و يكشف الغرور صاحبه .
6 - العراب الذي لم تخدعه الكلمات .
7 - الثعلب و الجمل .. ركبتان لا تتشابهان .
8 – الثعلب هما و العنزة .. الثمن الخفي للعطش .
9 - الثعلب و العنب : حين نصنع الأعذار بدل أن نصنع السلالم
10 - الثعلب همام و الزرافة و عناقيد العنب
11 – الثعلب و الحمار الوحشي و لون البسي .
12 - الثعلب والأسد المريض
13 - الثعلب همام و البومة الحكيمة
14 – حين يرتدي الخداع ثوب الصداقة
15 – الثعلب همام و أنثى السنجاب
16 – الثعلب همام الماكر واللقلق الذكي
17 – الثعلب همام و الببغاء
18 - مهارة واحدة أنقذت الحياة
19 – الثعلب همام و القنفذ وسام
20 – الثعلب و الكلب و الديك
21 – الثعلب همام و الخنزير البري
22 – الثعلب و الثعبان
23 – الثعلب و القرد .. و المديح الذي خدع صابه
24 – الدب دودو و صندوق الطمع
25 – همام و وثام .. بيت من المحبة